جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كليةالعلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

ميدان :علوم اجتماعية

فرع :فلسفة

تخصص :تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: ; كوحيل زينب

الموضوع:

الاصلاح الديني وعلاقته بالسياسة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي

نوقشت و اجزيت علنا يوم :2016/05/24

بحضور اللجنة المكونة من :.....

بن غزالة محمد صديق ..... أستاذ مساعد ا جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
رياض طاهير .....أستاذ مساعد ا جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا
برابح عمر ..... أستاذ مساعد ا جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا

الموسم الجامعى : 2016/2015

إهداء

اهدي أولى ثمراتي العلمية وليس أخرها

إلى والديَ الكريمين ، أول أستاذين في حياتي

واصل آني وكينونتي

هما الأخر الذي صنع به وجودي ونجاحي .

إلى كل أفراد عائلتي كل باسمه .

إلى كل الأصدقاء دون استثناء .

إلى كل زميلاتي في العمل والدراسة .

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين ، بديع السموات... رفيع الدرجات ذو العرش .. الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى... وسبحان من علم الإنسان بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم.

ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة وكشف الغمة ، سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم أما بعد:

اعترافا لذوي الفضل بفضلهم أتقدم بجزيل الشكر، إلي الأستاذ الجليل "رياض طاهير" ، الذي على يديه تعلمنا معنى التفلسف ، وما إشرافه علينا إلا نقطة من بحر عطاء علمي سواء معرفيا ، أو أخلاقيا ، فله منا كل التقدير ، والاحترام ، والامتنان.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ "زيغمي احمد" الذي أنار دربنا بالبحث والعلم وكان خير مثل للجد والمثابرة.

إلي الأستاذ رئيس قسم العلوم الإنسانية "عمر حمداوي" لأخلاقه العلمية ، وتعامله الراقي معنا ، جعله يستحق منا كل التقدير ، والاحترام.

إلى كل أساتذتنا الأفاضل في مختلف الأطوار التعليمية ، إلى غاية طور التعليم العالي ، لما قدموه لنا من علم وتوجيهات ساهمت في بناء ذاتنا العلمية

كما نتقدم بالشكر الخاص إلي الدكتور "جميل خليل نعمة المعلة" من جامعة العراق على المعلومات القيمة التي طالما زودني بها في هذه الدراسة، كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

قـــائـــمة المـــحتويـــات

المحتوى	الصفحة
الإهداء.....	**I**
شكر وعرفان.....	**II**
الفـــــهرس.....	**III**
مقدمة.....	**أ ب ج د**
الفصل الأول: بوادر ظهور حركة الإصلاح الديني.....	**6-27**
المبحث الأول: الأطر العامة للفكر الفلسفي في العصر الوسيط.....	**7-17**
أ= تعريف الفلسفة المدرسية.....	**7-8**
ب= مراحل الفلسفة المدرسية.....	**9-17**
1: الفلسفة المدرسية المبكرة.....	**9-12**
2: الفلسفة المدرسية العليا.....	**13-14**
3: الفلسفة المدرسية المتأخرة.....	**15-17**
المبحث الثاني: الأطر الدينية في العصر الوسيط.....	**17-22**
ا= فكر جريغوري.....	**18-20**
ب= الكنيسة والإمبرطور.....	**20-22**

المبحث الثالث: نتائج عصر النهضة ودواعي الإصلاح.....**22-27**
أ= النزعة الإنسانية.....**22-25**
ب= حركة الترجمة والطباعة.....**25-27**
الفصل الثاني: الإصلاح الديني.....**28-53**
المبحث الأول: عوامل الإصلاح الديني.....**29-36**
1-العامل الديني.....**29-32**
2- العامل الاقتصادي.....**32-35**
3-العامل الجغرافي.....**35-36**
المبحث الثاني:أشكال الإصلاح الديني.....**37-53**
ا-اللوثرية في ألمانيا.....**38-44**
ب-الكالفنية في فرنسا.....**44-48**
المبحث الثالث:امتداد حركة الإصلاح الديني في أوربا (انجلترا أنموذجا).....**48-53**
الفصل الثالث: نتائج حركة الإصلاح الديني.....**54-70**
المبحث الأول: على الصعيد الديني.....**55-59**
المبحث الثاني: على الصعيد السياسي.....**59-67**
المبحث الثالث: نقد وتقييم.....**68-70**

خـــاتـــــــمة.....71-73
قائـــــــمة المصـــادر والمراجـــع.....74-79

مـــــــقدمة

يرى أغلبية المؤرخين أن محور التاريخ الحديث هو التاريخ الأوربي، الذي امتدت أوصاله إلى ما وراء البحار لتشمل العالمين الجديد والقديم، بحيث لم يكن من الهين التحول من جاهلية العصور الوسطى إلى العصر الحديث، بل كان صراعا طاحنا ومعارك وانقسامات واتهامات بالكفر والزندقة وأحكاما بالقتل والحرمان والتعذيب، ولم تكن هذه النهضة حادثا عرضيا بغير تمهيد، بل جاءت نتيجة لتلك الحركات الكبرى التي شهدتها أوربا والتي تجلت في النهضة الأدبية التي كانت ثورة جارفة تهدف إلى تغيير نمط الحياة الذي الفته سابقا، وكذا تحريرها مما أصابها من عقم وجمود إبان العصور المظلمة، كما أرادت أن تنهض بالعقل من عثرته وتنفخ فيه روح الحرية والحياة والنشاط، فالتمست له غذاء في آداب اليونان والرومان، وانكب عليها الناس انكبابا واستوعبوها دراسة وبحثا من خلال الثورة على الفكر السكولائي.

وقد ساير هذه النهضة في خطاها الإصلاح الديني، الذي نبتت بذوره في ألمانيا ثم ذاعت في سائر أرجاء أوربا وانتهت بالدعوة إلى الثورة على الكنيسة وسلطانها، ووجوب حرية الفرد واستقلاله، وكما هو الحال دائما في كل مراحل التحول الاجتماعي التاريخية لاستكشاف رؤية جديدة ظهرت فرق وجماعات متمردة، كانت جميعها رافضة ثائرة كالعاصفة المدمرة، فتعددت الفرق و المذاهب، وأصبح الواقع الجديد يفرض تحدياته من خلال مواجهته للتقليد، وضرورة التخلي عن التقديس الأعمى لتلك العادات التي تمسك بها الناس وإلى الشعائر المتوارثة التي انتقلت من السلف إلى الخلف، فكان لابد من رصد الواقع واستقراء أحداثه وفهمها خارج نطاق السلف، فكان هذا هو نور العقل الذي استقى من السلف، واخضع نتاجه من المعلومات إلى مبدأ الفحص والتمحيص والمراجعة والتفسير، فأدرك الإنسان الأوربي أن الحقيقة اكبر من حصرها بين دفتي كتاب، وأدرك بأن ثمة حقيقة أعمق من المسيحية ذاتها ينبغي على الإنسان اكتشافها.

فمن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية وهي:

ما هو مفهوم الإصلاح الديني الأوربي؟ وما هي امتداداته في الفكر السياسي الأوربي الحديث؟

وبصيغة أخرى : ما هي الروافد الأولى لحركة الإصلاح الديني؟ وما هي الأشكال التي اتخذتها هذه الحركة لتحقيق الإصلاح؟

ولمحاولة الإجابة عن إشكالية البحث وما يتفرع عنها من تساؤلات فرعية، اعتمدنا على خطة مكونة من مقدمة وثلاث فصول و خاتمة للموضوع.

فبعد طرح الإشكالية لابُد من عرض الخطة المتبعة في البحث وهي كالأتي:

في الفصل الأول المعنون بـ :(بوادر ظهور حركة الإصلاح الديني): والذي تناولنا فيه أهم المحطات في التاريخ الغربي الوسيط، من خلال ثلاث مباحث، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى الأطر الفلسفية العامة للفكر الوسيط من خلال العودة إلى الفكر المدرسي، وتتبع أهم التطورات التي طرأت على أوربا من القرن التاسع (09م) وحتى القرن الثالث عشر(13م)، أما بالنسبة للمبحث الثاني فتناولنا فيه الأطر الدينية للفكر الوسيط واتخذنا أنموذج القديس جريغوري والوقوف على أهم محطات فكره، أما في المبحث الثالث فارتأينا، التعرض إلى أهم النتائج المترتبة عن عصر النهضة ودواعي الإصلاح.

أما الفصل الثاني الذي كان عنوانه: (الإصلاح الديني): فقد عالجنا فيه موضوع الإصلاح الديني من خلال ثلاثة مباحث، حيث تحدثنا في المبحث الأول عن أهم العوامل المساهمة في بلورة حركة الإصلاح الديني، أما بالنسبة للمبحث الثاني فتعرضنا فيه إلى تلك الأشكال

التي اتخذتها الحركة الإصلاحية، أما بالنسبة للمبحث الثالث فتحدثنا فيه عن امتدادات هذه الحركة في أوربا واقتصرنا هذه الامتدادات على انجلترا.

أما بالنسبة للفصل الثالث والأخير والمعنون بـ: (نتائج حركة الإصلاح الديني): فقد ضمناه ثلاث مباحث هو الأخر، المبحث الأول هو نتائج هذه الحركة على الصعيد الديني واهم التغييرات التي أحدثتها أما بالنسبة للمبحث الثاني فتناولنا فيه أهم النتائج المترتبة عن هذه الحركة على الصعيد السياسي واهم المفاهيم التي جاءت بها هذه الحركة الثورية، أما بالنسبة للمبحث الثالث فقد خصصناه لنقد وتقييم أبرز أفكار ونتائج هذه الحركة.

وخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

ولتحليل الإشكالية السابقة اعتمدنا على مناهج متنوعة، بهدف إيضاح مختلف إشكاليات البحث الرئيسية والفرعية، فالمنهج التاريخي يفرض نفسه تبعا لطبيعة الموضوع ذات السياق التاريخي، من خلال تتبع المراحل التاريخية التي مرت بها حركة الإصلاح الديني، كما اعتمدنا في هذه الدراسة أيضا على المنهج التحليلي، وذلك لما تقتضيه الدراسة في تحليل أفكار رواد هذه الحركة من جهة، وكذا المنهج المقارن من خلال عقد مقارنة بين ما كان قبل وبعد هذه الحركة.

إن دوافع البحث في هذا الموضوع تنقسم إلى عوامل ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الموضوعية منها فتتمثل في:

- الدافع القوي لاختيار هذا الموضوع هو تبيان ابرز مواطن الإصلاح الديني، واضطهاد الكنيسة لقداستها وقوانينها العامة.
- توضيح اثر الإصلاح الديني على الجوانب السياسية.

- التوصل إلى معرفة أهم النتائج المترتبة عن الحركة الإصلاحية.

وأما الأسباب الذاتية فهي:

- التعرف على أهم الشخصيات الغربية التي غيرت مجرى التاريخ الأوربي.
- محاولة إدراك السبل التي أدت إلى النهوض بأوربا.
- الرغبة والميل في دراسة هذا الموضوع.

وكغيري من الباحثين واجهت بعض الصعوبات خلال هذا العمل المتواضع أهمها:

تشعب موضوع الدراسة، والصعوبة في الإلمام بكل جوانبه.

عدم وجود دراسات سابقة لهذا الموضوع بالجامعة.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول:

بوادر ظهور حركة الإصلاح الديني

- **المبحث الأول: الأطر العامة للفكر الفلسفي في العصر الوسيط.**
- **المبحث الثاني: الأطر الدينية للعصر الوسيط.**
- **المبحث الثالث: عصر النهضة ودواعي الإصلاح.**

تمهيد: كانت الكنيسة هي المسيطرة على مختلف مناحي الحياة في أوربا، فأصيب الفكر بالجمود والعقم وتحكمت في العقول حتى قضت على كل أوجه الحياة والنشاط الفكري، فلم تكن أوربا إلا ظلاما دامسا تغلغلت فيه الجهالة والخرافات، حتى حلول القرن الحادي عشر(11م) أخذت تلك الأفكار في الاندثار، فشقت طريقها للخروج من ذلك الكابوس الذي راودها لقرون طويلة، فانبعثت فيها الحياة والقوة من جديد، وما كان لأوربا أن تخرج من ذلك الظلام، إلا لوجود جملة من البوادر شقت لها الأفق، والمتمثلة في تلك الإصلاحات التي حتى ولو أنها بدت بصورة ضعيفة إلا أنها ساهمت كثيرا في الخروج من تلك الظلمات، فما هي إذن هذه العوامل التي مهدت الطريق لظهور الإصلاح الديني؟

المبحث الأول: الأطر العامة للفكر الفلسفي في العصر الوسيط.

تعرف الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط باسم الفلسفة المدرسية، والتي حاولت المزج بين العقائد المسيحية وعناصر الفلسفة الإغريقية باستخدام المنطق الأرسطي الذي ظل لصيقا بها، ولما كانت هي التيار الفلسفي الرئيسي في تلك الفترة، فقد تكونت في إطاره مختلف المذاهب الفلسفية الأساسية، فمن هنا يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي:

ما هي الفلسفة المدرسية؟

وما هي أطوارها واهم ركائزها؟

أ= تعريف الفلسفة المدرسية السكولائية

حاول لالاند تعريف الفلسفة المدرسية بما يقابلها في الفرنسية scolaire وفي الانجليزية scholastic، بأنه ما ينتمي إلى التعليم الفلسفي المدرسي من القرن التاسع (09م) حتى القرن السابع عشر(17م) تقريبا، من جهة يتسم هذا التعليم بسمات مميزة منها أن يكون

متناسقا مع اللاهوت وأن يسعى إلى التوفيق بين الوحي والنور الطبيعي للعقل، ومن جهة ثانية أن يتخذ من "المحاجة القياسية" ومن القراءة التفسيرية للمؤلفين القدامى المعروفين في ذالك العصر، لاسيما أرسطو[1].

أما "جميل صليبا" فيرى أن لفظ المدرسي يطلق على كل رجل يتصف بالعقلية المدرسية ويرغب في التقيد بالآراء التقليدية، ويخضع لسلطان القدامى ويتقاعس على تجديد نفسه بتجارب الحياة[2].

في حين نجد "إبراهيم مدكور"، يقر على أنها الفلسفة التي اعتمدت بوجه خاص على أرسطو، ومحاولة التوفيق بين فلسفته وبين التعاليم الدينية، وعولت على منطقه وقياسه في استدلالاتها[3]، ومنه يعتبر المنطق الأرسطي بمقام تاج عقل الإنسان في العصر الوسيط.

في حين يرى "عبد الرحمان بدوي" أن فلسفة العصور الوسطى أُطلق عليها اسم مدرسية "لأنها تدل على الفلسفة التي كانت تُدرس في المدارس في العصور الوسطى، ومن هنا فإن لفظ مدرسي يطلق على كل من يَدرُس في المدارس، أو على كل من حصل على جميع المعارف التي كانت تدرس في تلك العصور"[4].

[1] أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، تر: خليل أحمد خليل، (ط2؛ بيروت: منشورات عويدات، 2001)، ج3، ص1257.

[2] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (د ط؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982)، ج2، ص359.

[3] إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، (د ط؛ القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1983)، ص183.

[4] عبد الرحمان بدوي، **فلسفة العصور الوسطى**، (د ط؛ بيروت: دار القلم، 1979)، ص43.

ب = مراحل الفلسفة المدرسية.

لقد مرت الفلسفة المدرسية بثلاث أطوار، وهي طور التكوين، ثم طور الاكتمال وأخيرا طور الانحلال.

1: الفلسفة المدرسية المبكرة(09م-13م):

شهدت هذه الفترة رغبة الملوك والسلاطين في تكوين المدارس والإكثار منها، فعَرفَ هذا القرن -التاسع- نشاطا واسعا برز فيه جون سكوت أريجينا Jean Scoté Érigène (810-877)* الذي يقر بعدم وجود تمايز بين الفلسفة والدين، لأنهما صادران عن الحكمة الإلهية حيث يقول: «الفلسفة الحق هي الدين الحق والدين الحق هو الفلسفة الحقة»[1]، فمن خلال هذا يتضح أن هدف سكوت هو فلسفة الدين من خلال قوله بعدم وجود تمايز بين الدين والفلسفة.

وقد ألف جملة من الأعمال التي توضح مذهبه، منها "في الانتخاب الإلهي"، الذي ينطوي على نزعة عقلية جريئة، والذي يقول فيه بوجوب الاحتكام إلى العقل.[2]

كما يرى أيضا بضرورة تأويل الكتاب المقدس لقوله: «إن معاني الكتاب المقدس متعددة تعدد ألوان ذيل الطاووس».[3] فمن هنا يتضح أن سكوت أريجينا يفسح المجال للعقل، وما دامت معاني الكتاب المقدس متعددة فلا بُد من تأويلها لتحقيق الفهم، كما كان لترجمات التي قام بها بالغ الأثر في توجيه فكره خاصة والفكر المدرسي عامة.

---

* **جون سكوت ارجينا:** يعد من اكبر أساتذة القرن التاسع(9م) ، وهو أول فيلسوف مدرسي ، عاصر الكندي، استدعاه مالك فرنسا من وطنه ايرلندا ونزل في البلاط، وعلم بمدرسته، من أعماله نذكر:في "الانتخاب الإلهي"، وكتاب "قسمة الطبيعة". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، (ط3؛ مصر: دار المعارف، د.س)، ص74.

[1] نقلا عن، يوسف كرم، المرجع نفسه، ن.ص.

[2] نقلا عن يوسف كرم، المرجع نفسه، ص75.

[3] جونز، بور جوان، **تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسطية** ، تر:علي زيغود و علي مقلد، (د ط؛ بيروت: مؤسسة عز الدين، 1993)، ص59.

فكما ذكرنا آنفا أن القرن التاسع (09م) شهد نشاطا واسعا، إلا أن هذا النشاط انكمش في القرن العاشر (10م)، بفعل الحروب التي أدت إلى الكثير من النتائج، فقد خربت الأديرة والمدارس وتوقف النشاط العلمي.[1] وقد استمرت هذه الاضطرابات حتى منتصف القرن الحادي عشر (11م) حيث أخذ العلم يسير سيرا حثيثا بتكاثر الأديرة.

ومن ظواهر التعليم في هذه الحقبة إقبال المدنين عليه لتحقيق جملة من الأهداف، كتولي مناصب عامة و الاشتغال بالقانون.

وقد برز في هذا العقد كل من "برنجي دي تورberndji des Toure"(1000م_1088م)*، و "رسولان" Rosclin(1050-1120م)**. و"القديس أنسلم" Anslem(1033م-1109م)*** ، الذي يعتبر من الأسماء اللامعة التي ظهرت في هذا القرن، فهو بمثابة أب للمدرسة السكولائية.

فمنهج أنسلم هو تعقل الإيمان كما قال أوغسطين: «الإيمان يولد في النفس المحبة، والمحبة

---

[1] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مرجع سابق، ص80.

* **برنجي دي تور:** فرنسي خريج مدينة شارتر، كان يرى في المنطق خيرا أداة لاستكشاف الحق، ويقول انه عبارة عن العقل، وان الإنسان إنما خلقه لله على صورته بالعقل، فا العدول عن استخدام العقل عدول عن هذا الشرف وانصراف عن التشبه بالله كما أن المعرفة الإنسانية في نظره مقصورة على التجربة، وأن الحواس تدرك الجوهر والعرض معا، ولا ينفصل احدهما عن الأخر إلا في الذهن.
لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: يوسف كرم، المرجع نفسه، ص ص (81 ، 82).

** **روسلان** : فيلسوف فرنسي كتب باللاتينية، ولد في أواسط القرن الحادي عشر(11م)، وتوفي سنة 1120م كان أستاذ "غليوم دي شامبو" و"ابيلار"، وكل ما نعلمه عنه جاءنا من خصومه خاصة "ابيلار" الذي انقلب عليه، ويمكن إعداده مؤسس الاسمية لقوله بأن الكليات هي مجرد ألفاظ، ويقول "ابيلار" انه نفى وجود أجزاء الكل، وفي اللاهوت تكلم عن ثلاثة جواهر بدلا من ثلاثة اقانيم، لذالك هاجمه القديس أنسلم وتم إدراجه في عداد هراطقة الجدل. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، (ط 3؛ بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2006)، ص327.

*** **أنسلم الكانتربري:** فيلسوف لاهوتي وقديس، ولد في "أوستا" سنة 1033م، توفي في "كانتربري"عام 1109م، فقد رحل أنسلم إلى فرنسا ثم "لادن وشارتر" ثم باريس و"نورماندیا"، حيث اهتمت المدارس في هذه الفترة بإحياء التراث وترجمة الفلسفة اليونانية، فقد كان أنسلم من أكبر فلاسفة العصر الوسيط في القرن الثالث عشر(13م) ، ومن جملة مؤلفاته نذكر: في "الإيمان بالثالوث والتجسيد"، "في انبثاق روح القدس" ردا على غراكوس ، في الحقيقة، "في حرية الاختيار"، "تأملات ومرائي"، كتاب "منجاة النفس"، كتاب "العضة". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، المرجع نفسه، ص102.

تدفع بالنفس إلى استعجال الرؤية الآجلة بالاستدلال فالإيمان شرط التعقل»[1]. فأنسلم كان مقتنعا بأن الإيمان بحد ذاته يسعى نحو العقل.

أما في النصف الثاني من القرن الحادي عشر(11م)، والثاني عشر(12م)، يعتبر عصر تقدم سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي، حيث ظهرت في هذه الفترة "الطبقة البرجوازية bourgeoisie"[*]التي حصلت لنفسها على امتيازات، وغرست لدى الإنسان معنى الحرية الشخصية، مما نتج عنها ما يسمى بمبدأ الفر دانية.

وقد برز في هذه الحقبة العديد من الفلاسفة والمترجمون، من امثال: "أديلارد اوف بثAdelared ouf beth"[**] و"قسطنطين الإفريقي"[***]، و "جيراردودي كريمونا jerarde des kremona" (؟-1187)[****]،أما فيما يخص الفلاسفة فنجد، "برنارتييري دي شارتر Bernard tieeri des sharter"[*****]وغيرهم.

---

[1] نقلا عن يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مرجع سابق، ص85.

[*] **الطبقة البرجوازية:** هي طبقة نشأة في عصر النهضة الأوربية بين الأشراف والمزارعين، وهي الحاكمة في المجتمعات الرأسمالية، وتضم أولئك الذين يملكون وسائل الإنتاج والتوزيع والتبادل. لمزيد الرجاء العودة إلى، إسماعيل عبد الفتاح الكافي، **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، (د ط؛ د م: جميع حقوق النشر والتوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية، 2005)، ص ص(73،74).

[**] **أديلارد أوف بث:**انجليزي تثقف في فرنسا، وعلم بها، أراد أن يكمل ثقافته فقصد في أوائل القرن الثاني عشر (12م)، ايطاليا وصقلية فاليونان وكذا أسيا الصغرى ويقال انه جاء إلى مصر، ونقل من العربية مبادئ إقليدس وزيجات الخوارزمي، ورسائل فلكية ورسالة في الإسطرلاب، وقد ألف كتاب "الهوهو"، وكتاب "المباين". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مرجع سابق ص (90 ، 91).

[***] **قسطنطين الافريقي:** قرطاجي المولد، ترجم كتبا طبية عن العرب واليهود واليونان، منها كتاب "الفصول لابيقراط" مع شرح "جالينوس"، وقد ذكر في هذه الترجمات نظرية ديموقريطس في جوهر الفرد، وبيان للوجهة الفسيولوجية في الإدراك الحسي. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: يوسف كرم ، المرجع نفسه، ص92.

[****] **جيرلردو دي كريمونا:** إيطالي، ترجم من العربية بعض كتب أرسطو، منها التحليلات الثانية، والسماع الطبيعي، والسماء والعالم، والكون والفساد، والمقالات الثلاث الأولى من الآثار العلوية، كما ترجم رسائل الكندي منها رسالة العقل والمعقول، ورسالة النوم والرؤيا، ورسالة الماهيات الخمس، وقانون ابن سينا وهو اكبر كتاب في الطب عرفه العصر الوسيط، وغيرها من الترجمات الأخرى. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: يوسف كرم، المرجع نفسه، ص95.

[*****] **برنارتييريدي شارتر:** هما أخوان نبغا بمدرسة شارتر بفرنسا، التي ازدهرت في النصف الأول من القرن الثاني عشر، كانت أول معهد درس منطق أرسطو كاملا حيث علم "برنار" بالمدرسة وترأسها وهو يفسر الموجودات بأصول ثلاثة: الله، والمادة خلقها الله من العدم، والمثل الأزلية دون أن تكون مساوية لله، كما علم "تييري" بالمدرسة وترأسها وهو

وفعلا بدأت معالم التغيير تظهر في هذا القرن، فقد لاحظنا أن العقل الأوربي بدأ يتحرر من ذلك الجمود وتلك القيود التي كبلته لفترات طويلة، فقد توج هذا القرن بالنهضة العلمية الأولى، فقد دعي رواد تلك النهضة وخاصة "ابيلارد Abélard" إلى تحرير الفكر والعودة إلى التراث الكلاسيكي القديم(اليوناني والروماني)[1].

من خلال هذا نلاحظ تلك الدعوة الصريحة للتخلص من قيود الكنيسة، والتوجه نحو دراسة الفكر اليوناني والروماني خاصة "أرسطو Arston"[*]، و"أفلاطون platon "، إلا أن الكنيسة رأت في هذا تهديدا لكيانها فقاومت هذه المذاهب والآراء الفلسفية بشتى الطرق واتهمت أصحابها بالهرطقة.

ففي عام 1210م منع طلاب جامعة باريس من دراسة أعمال "أرسطو" العلمية، فأصدرت على ذالك عقوبة الحرمان، وقد كانت الدراسات في القرن الثاني عشر (12م)، منصبة عموما حول أعمال "أرسطو" و"أفلاطون"، بالإضافة إلى بعض من فلاسفة العرب مثل "ابن رشد" ibn roshd [**] و"ابن سينا"[***]ibn sina.

= يشرح سفر التكوين بالمعاني الأفلاطونية الأربعة: الصانع، والمثل، والنفس الكلية، والعناصر. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: يوسف كرم، المرجع نفسه، ص ص (98،97).

[1] نعيم فرح، **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، (ط 2؛ دمشق: الجمعية التعاونية للطباعة، 2000)، ص13.

[*] **أرسطو :** ولد في استجيرا، وكان لمدة عشرين عاما تلميذا لأفلاطون في أكاديميته، وفي عام (34 ق.م) استدعي ليكون أستاذا لاسكندر الكبير، وقد أسس فيما بعد مدرسة خاصة به في أثينا، عرفت بالمدرسة المشائية، من مؤلفاته نذكر: الاورغانون، الكتب الطبيعية، الماورئيات، الكتب الأخلاقية والكتب الفنية. لمزيد. من الإثراء الرجاء العودة إلى: بيتر كونزمان وآخرون، **أطلس الفلسفة**، تر: جورج كتورة، (ط 2؛ لبنان: المكتبة الشرقية، 2007)، ص47.

[**] **أبن رشد :** هو أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد، وهو فيلسوف عربي، ولد في قرطبة سنة 1126م وتوفي سنة 1198م في المغرب، كان شارحا لأرسطو حيث نُقلت شروحه إلى العبرية خلال القرنين الثالث عشر(13م) والرابع عشر(14م)، من مؤلفاته نذكر: "تهافت التهافت"، كتابه "في الكليات"، وكذا رسالته "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق، ص ص(24،23).

[***] **ابن سينا**: هو أبوعلي الحسين بن عبد الله بن سينا ولد سنة 980م وتوفي سنة 1037م، يعد هو أول من أعاد تسليط الضوء على فلسفة أرسطو، حيث كان له تأثير كبير على جميع الفلاسفة المسيحيين خلال القرن الثالث عشر(13م)، ومن جملة مؤلفاته نذكر: في الإيمان بالثالوث والتجسيد، في انبثاق روح القدس ردا على غراكوس، في الحقيقة، في حرية الاختيار، منجاة النفس، وكتاب العضة. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طربيشي، المرجع نفسه، ص102.

2=الفلسفة المدرسية العليا:

تعتبر هذه الفترة من أرقى فترات العصر الوسيط، نظرا لتلك التحولات التي شاهدتها أوربا خلال هذه الفترة، ولا شك أن لهذا التحول جملة من العوامل التي يمكن حصرها فيمايلي:

- تأسيس الجامعات، وإقامة سلك الرهبنة، واكتشافهم لأرسطو.[1]

فكما ذكرنا سابقا أن الجامعات كان لها اثر كبير في ازدهار هذه الحقبة، وذلك من خلال بلوغ كل من الفلسفة وعلم اللاهوت أوجهما، وهذا راجع لكثرة الجامعات بالإضافة إلى الكتب المنقولة عن العربية واليونانية، خاصة شراح أرسطو الذين كانت لهم يد في توجيه المسار الفكري لهذا القرن.

كما يعد النزاع حول "أرسطو" من ابرز مظاهر القرن الثالث عشر(13م)، لما أثارته كتبه من ضجة هائلة لاحتوائها على قضايا معارضة للدين، وذلك من خلال ترجمة طليطلة لكتب أرسطو وشراحه في جامعة باريس، وعند وصول "كتاب ما بعد الطبيعة" لأرسطو من القسطنطينية سارعت السلطة الكهنوتية تحضر هذه الترجمات، وفي مجمع كنسي عقد سنة 1210م تقرر ما يلي « نمنع تحت طائلة الحرم باريس جهارا أو خفية، قراءة كتب أرسطو حول الفلسفة الطبيعية وكذالك الشروح حوله»[2].

فبالرغم من التحولات التي شهدها هذا القرن، إلا أن سيطرة الكنيسة لا تزال قائمة فقد أعاد "جريغوري التاسع" تثبيت الحضر الذي اقر سنة 1210م، فقرر إعادة فحص طبيعيات أرسطو وتطهيرها من الأخطاء.

[1] نقلا عن، جونز و يرجوان، **تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسطية**، مرجع سابق، ص105.
[2] مرجع نفسه، ص107.

وإذا كان رجال الكنيسة استمدوا الوحي الفلسفي طوال الفترة السابقة من مصادر أفلاطونية جديدة، فإن القرن الثاني عشر(12م) شهد انتصار أرسطو، فقد سعى"القديس توما الاكويني" saint Thomas D'aquin(1225-1274)*، إلى إقامة المذهب الكاثوليكي على أساس فلسفة "أرسطو".[1] إلا أن هذه الجهود التي قدمها "الاكويني" قد تعرضت في بداياتها الأولى إلى العديد من الانتقادات، بينما أيد مجمع "ليون" الكنسي تعاليم "القديس توما الاكويني" سنة 1274م وقد كانت "التوماوية"**، هي الانجاز الذي توج رأس الفلسفة المسيحية واعترف الجميع بها على هذا النحو ولو مؤخرا، عندما أصبحت هذه النسخة المعدلة من المذهب الأرسطي، واعتبارها الفلسفة الأساسية للكنيسة الكاثوليكية*** بالتعيين البابوي.[3]

أعطى الاكويني دورا مهما للعقل في تكوين المعرفة اللاهوتية، فبعض الحقائق المتعلقة بالله تتجاوز قدرة العقل البشري، ومنها عقيدة التثليث ويمكن لبعض الحقائق الأخرى أن تُدرك عن طريق العقل الطبيعي ومنها وجود الله ووحدته.

* **توما الاكويني:** هو ابن "كونت دي اكوينو" بايطاليا الجنوبية، تتلمذ على يد "ألبير الكبير"، وهو من أشهر أصحاب النظم الفلسفية في القرون الوسطى، يقوم انجازه على الجمع بين الأرسطية والفلسفة المسيحية الموروثة عن أوغسطين، وأعلنت الكنيسة في القرن التاسع عشر(19م)، على أن أعمال الاكويني أساسا للفلسفة المسيحية، ومن جملة أعماله نذكر: الخلاصة اللاهوتية والخلاصة ضد الوثنيين، كما اشتهر ببرهانه الانطولوجي. لمزيد من لإثراء الرجاء العودة إلى: بيتر كونزمان وآخرون **أطلس الفلسفة**، مرجع سابق ص81.

[1] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، تر: فؤاد زكريا، (د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1983)،ج1، ص ص(234 ، 235).

** **التوماوية:** هي مذهب القديس "توما الاكويني"، الذي يأخذ بواقعية أرسطو التي ترد المعرفة أساسا إلى الإحساس والعالم الخارجي، ويحاول التوفيق بين العقل والنقل وبين الأرسطية والمسيحية. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص57.

*** **الكاثوليكية**: هي مجموعة التعاليم المسيحية التي تدين بها الكنيسة الرومانية وتتميز بدعم سلطة الكنيسة، وعلى رأسها البابا خليفة بطرس الرسول، ومن أصولها سر التثليث، التجسيد، وسر الاعتراف وسر تناول القربان، وسر الخلاص، وسر الغفران. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: إبراهيم مدكور، المرجع نفسه، ص192.

[2] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، ج1، مرجع سابق، ص (426،428).

[3] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، ج1، مرجع سابق، ص (426،428).

3=الفلسفة المدرسية المتأخرة:

كان القرن الثالث عشر(13م) من ارقي العصور حيث بلغت فيه الفلسفة المدرسية أوجها، فهي تعطي صورة كاملة لجميع الموجودات من الناحية الفلسفية العقلية ومن الناحية اللاهوتية النقلية[1]، هذا ما وجدناه عند "الاكويني" الذي جمع بين الدين المسيحي والفلسفة الأرسطية، إلا انه بحلول القرن الرابع عشر(14م)، انقلبت كل الموازين حيث شهد نقدا للعقل ينتهي إلى التشكيك فيه والاعتصام بالدين وحده، فينفصلان ويبدأ النقد على يد "جون سكوت" ويتفاقم على أيدي مفكرين فرنسيين وانجليز[2].

ولقد ظهر في القرن الرابع عشر(14م) "اوكام"* الذي جاء ناقداً للفكر المدرسي المتأخر، فهو كان ينفي قبول المواقف الراهنة وكل قيمة لمعرفتنا وللمنطق الاستدلالي[3].

لقد أرسى "اوكام" حركة فكرية كانت هي الأساس لأفكار العصر الحديث، فقد شكل الطريق الحديث مقابل الطريق القديم الذي يرتبط بالمدارس التي ينسب إليها كل من "الاكويني" "وسكوت".[4]

---

[1] عبد الرحمان بدوي، **فلسفة العصور الوسطى**، مرجع سابق، ص 281.

[2] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مرجع سابق، ص 198.

* **أوكام**: فيلسوف سكولائي إنجليزي، وراهب من الرهبان، بدأ يحاضر في جامعة أكسفورد، أستدعي إلى أفنيون بتوجيه من مدير جامعته ليرد على أوجه النقد الموجهة لأرائه، وكانت معظم كتاباته ذات غرض سياسي وكان باعث حركة قوية متصلة في نقد الفلاسفة، والفصل بينها وبين الدين، وكذا الفصل بين السلطتين الدينية والدنيوية، فهو يعتبر بحق مؤسس الفكر الحديث، تلقى العلم بأكسفورد وعلم بباريس، له جملة من الأعمال نذكر منها: كتاب "مئة قضية لاهوتية"، وكتاب "المجموعة المنطقية" و"الشرح الذهني". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة** ، مرجع سابق، ص122.

[3] لويس غردي و جورج قنواتي، **فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام**، تر: صبحي صالح، (ط 1؛ بيروت: دار العلم، 1979)، ص252.

[4] بيتر كونزمان وآخرون، **أطلس الفلسفة**، مرجع سابق، ص81.

اشرنا سابقا إلى أن القرن الثالث عشر(13م) توطدت فيه العلاقة بين العقل والنقل على يد "توما الاكويني"، إلا أن "اوكام" من خلال نظريته في المعرفة نجد أن البرهان العقلي تضاءل شيئا فشيئا في المسائل الدينية حتى كاد ينعدم[1]، بمعنى انه لم تعد هناك علاقة بينهما فكل ما يقول به العقل لا يرد في الدين وكل ما يرد في الوحي لا يمكن للعقل أن يبرهن عليه.

آلا سمية [*] Nominalisme :

نظريته في المعرفة هي أصل شكه في الفلسفة والعلم، فالمعرفة عنده هي إحساس وتعقل في آن واحد، فالعقل حدسي تجريدي كما أن الإحساس حدسي كذالك.

فالمعرفة الحسية واقعة على ما في الخارج من موجودات أو أحداث جزئية مطابقة للواقع، والمعرفة العقلية واقعة على ظواهرنا الباطنية فهي مطابقة أيضا للواقع ومن الجهة الأخرى على الجزئيات الخارجية من وجودها وعدمه، وإلا لما استطاع العقل التأليف بين القضايا التي حدودها المحسوسات.[2]

إذن؛ يقر "اوكام" بأنه لا يوجد هناك مصدر للمعرفة أفضل من الإحساس، فهو يولي أهمية إلى الأشياء المشخصة، ويستبعد الكليات المجردة التي تستند إلى التجريد لأن التعرف عن الأشياء والأفراد لا يتم عن طريق التجربة.

[1] عبد الرحمان بدوي، **فلسفة العصور الوسطى**، مرجع سابق، ص182.

[*] **الاسمية:** هي النظرية التي تذهب للقول بأن موضوعات التفكير هي مجرد ألفاظ، وان اللفظ الكلي ليس له معنى أكثر من مجموعة الأشياء التي ينطبق عليها، وتذهب الاسمية في أقصى اعتدالها إلى أنه لا يوجد شئ يمكن الوصول إليه سوءا كان معنى كليا أو تصورا عقليا، فالمعنى ينشأ مستقلا، وأن السبيل للوصول إلى معنى الألفاظ هو رؤية مدى تطابق الأشياء عليها. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، مرجع سابق، ص877.

[2] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مرجع سابق، ص209.

لقد حرم "اوكام" كنسيا بسبب معالجته لموضوعات متعلقة بالكنيسة، من خلال مدافعته على حق الرهبنة الفرنسيسكانية بالتخلي عن الملكية، كما انه نادي باستقلال السلطة الدنيوية على السلطة البابوية مؤكدا على شرعية السلطة الدنيوية في استنادها إلى قرار المواطنين الحر.[1]

المبحث الثاني:الأطر الدينية في العصر الوسيط.

كانت الكنيسة في العصور الوسطى تمثل القوة الحضارية العظمى في أوربا الغربية، لما لها من قيادة وسلطة على الشعب وتوليها لأمور السياسة، التي كانت تأخذ برأيها في كل قرار من قراراتها، إلا انه كان لسقوط الامبرطورية الكارولنجية، اثر كبير في تغيير مسار البابوية والكنيسة الغربية، نظرا للنتائج التي ترتبت على البابوية ومستقبلها الروحي والاقتصادي، وبذلك فقدت الكنيسة حلفائها التاريخيين، فاختلطت السلطة الروحية بالسلطة الزمنية، و اعتبر الملوك بمثابة شخصيات دينية، وقد مارسوا تأثيرا كبيرا في شؤون الكنيسة وكانوا يعينون القساوسة والباباوات في كثير من الأحيان، وفي المقابل كانت الشخصيات الكنسية تلعب دورا مهما في الشؤون الدنيوية، بصفتهم مستشارين للملك وإداريين وأمراء على أراضي الكنيسة، ولقد أدى تسلط الباباوات من أمراء وإقطاعيين على السلطتين الزمنية والروحية إلى تفشي ثلاث أمراض خطيرة في الجهاز الكنسي وهي "السيمونية" وزواج رجال الدين، فبعد أن كانت الكنيسة اعلي سلطة روحية في العالم الغربي التي يمثلها البابا، أصبح هذا الأخير مجرد تابع للحكام العلمانيين، كما صار هؤلاء يعينون القساوسة والباباوات، ما نتج عنه تفكك الكنيسة وجعلها تابعة للسلطة الدنيوية أو بالأحرى إلى الملك.

[1] بيتر كونزمان و آخرون، **أطلس الفلسفة**، مرجع سابق، ص81.

1) فكر جريغوري السابع:

إذا كان رأس الكنيسة هو الأخر مسه التسلط، فإنه مع ذلك انطلقت وثبة الإصلاح، وسيكون "هيلدبراند" بعد أن صار "جريغوري السابع" الذي كان ثورة حقيقية كما وصفه "ادغار كينيه" edgard quinet إلا انه سبقه بعض الرواد إلى ذلك.[1]

أكد "جريغوري" أن السلطة الكاملة تعود إلى البابا وحده، لأنه رئيس الكنيسة وهو يستطيع تشكيل السلطات الزمنية كما يشرع أي قانون يريده هو، باعتباره هو نائب المسيح.

لقد برهن أيضا منذ أول عهده على أن نوياه هي، إصلاح الكنيسة التي خربتها "السيمونية" وإعادة بناء الوحدة التي مزقها الانشقاق الشرقي والتعاون مع الأمراء، وعند الحاجة الضرب على أيديهم كأتباع غير أوفياء، وحتى إذا ما اقتضى الأمر حرمانهم من التاج، والهدف من ذلك هو بعث الحياة في عمل "القديس بطرس"(؟-64م)*.[2]

فقصد "جريغوري السابع" هو قصد ديني وروحاني تماما، يتمثل في إصلاح الكنيسة وإعادة بعث النظام الذي يريده الله، بالإضافة إلى توجيه الأمراء والتعاون معهم في تسير السلطة الدنيوية.

---

[1] جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط** ، تر: ناجي الدراوشة، (ط 1؛ سوريا: دار التكوين، 2010)، ج1، ص221.

* **بطرس :** احد أشهر حواري المسيح عليه السلام، وكان زعيما لجماعة النصارى الأولى في القدس، وشخصية من الشخصيات البارزة في العهد الجديد، واسمه الأصلي "سمعان" ولكن المسيح سماه بطرس وهي كلمة يونانية تعني الصخرة، ويذكر في العهد الجديد باسم "سمعان بطرس" ليكون أول رأس لكنيسته، وبهذا يكون قد رسخ مكانة البابا من خلال "بطرس". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: اشرف صالح محمد سيد، **تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى**، (ط 1؛ لبنان: شركة الكتاب العربي الالكتروني، 2008)، ص63.

[2] جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط**، مرجع سابق، ج1، ص222.

كما تتضح أراء "القديس جريغوري" في كتاباته عن "الحكم الرعوي"، حيث يؤكد انه على الرعايا أن يطيعوا الحاكم حتى ولو كان سيئا، ويتحتم عليهم الامتناع عن محاولة الحكم على حياتهم أو نقدها أو مناقشتهم الحساب.[1]

فهو إذن يقر بوجوب الخضوع المطلق للحاكم وعدم نقده في أحكامه حتى ولو كانت خاطئة، وإنما يكتفي فقط بالندم والاستغفار والتماس العفو من السلطة العظمى، ومع ذلك احتفظ "القديس جريغوري" بحق الكنيسة في الاحتجاج على أوامر الامبرطور إذا كانت مناقضة للقانون مع عدم رفض طاعتها، وهو ما نادي به رجال الكنيسة دائما[2].

لقد اصدر "جريغوري" جملة من القرارات، منها ما اقره في "مجمع روما" سنة 1058م، أنه على أي رجل دين يستلم منصب ديني في الأديرة عن رجل علماني يعتبر مفصولا من الكنيسة[3]. فيعد هذا القرار ضربة قوية للأباطرة وإضعاف لسلطتهم أمام سلطة البابا، خاصة في ألمانيا حيث يعتبر أصحاب المناصب الكنسية بمثابة إقطاعيين تابعين للامبرطور.

وفي 1075م اصدر البابا "جريغوري" اخطر وثيقة في العصور الوسطى عرفت "بالمراسيم البابوية"[*].

---

[1] محمد نصر مهنا، **في تاريخ الأفكار السياسية والتنظير للسلطة**، (د ط؛ الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999) ، ص122.

[2] المرجع نفسه، ص113.

[3] اشرف صالح محمد سيد، **تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى**، مرجع سابق، ص53.

[*] **المراسيم البابوية:** كانت الأوامر والقرارات البابوية تصدر على شكل مراسيم تكتب باللاتينية على رقاق كبيرة، وكان كل مرسوم من المراسيم البابوية يبدأ بعبارة الأسقف "فلان خادم خدام الله" وتحتوي المراسيم على توقيع البابا، كما تحوي المراسيم الكبرى على توقيعات عدد من الكرادلة بالإضافة إلى توقيع البابا، وكانت صياغة المراسيم البابوية تتم وفق قواعد دقيقة تحدد أسلوبها وألفاظها، لذا تتطلب صياغتها وجود موظفين مختصين في هذا الأمر في الديوان البابوي. للمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: نعيم فرح، **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، (ط2؛ سوريا: منشورات جامعة دمشق، 2000)، ص190.

- ومن هذه "المراسيم البابوية"البابا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.
- وانه لا راد لقضائه، كما يمكنه عزل الاباطرة والملوك.
- كما انه لا يمكن لأي مجمع أن يحوز على الصفة العامة إلا برضائه.
- من حق البابا أن يحل الرعية من يمين الولاء.
- من حق البابا وحده استخدام الاشعرة الامبرطورية.
- ولعل أهم ما في هذه الوثيقة من قرارات تدعم سلطان البابوية هو، أن الكنيسة لم تخطئ أبدا في عمرها الماضي ولن تخطئ أبدا في عمرها الأتي.
- كما اقر بأن من حقه أن يفعل ما يشاء ولا يعارضه احد، من حق البابا وحده أن يضم أسقفيات صغيرة إلى بعضها أو يقسم أسقفيات كبيرة إلى قسمين.
- من حق البابا وحده، أن يُقدم الأمراء على تقبيل قدميه[1].

فهو إذن يقر بوجوب الخضوع المطلق للسلطة البابوية، وهو بذالك يتجاوز السلطة الروحية إلى السلطة السياسية أو الزمنية.

2) الكنيسة والامبرطور:

من الإمراض التي حاول رجال الكنيسة التخلص منها "التقليد العلماني"، وهو قيام الملوك والأمراء بتعيين رجال الدين في الكنيسة وهذا ما رفضته الكنيسة لأنه يعتبر من عملها هي وحدها ولا داع لتدخل السلطة الزمنية في ذالك.

فقبل اعتلاء "جريغوري" عرش البابوية كان الحاكم هو الذي يُقدم إلى البابا الخاتم والعصا اللذان يخلعان على البابا المعين حديثا بوصفهما رمزا لمنصبه، ولكي يدعم "جريغوري" السلطة

[1] المرجع نفسه، ص (53 ، 54).

البابوية أخذ هذا الحق لنفسه، وبعد اعتلاءه عرش البابوية في روما سنة 1073م، اصدر ثلاث قرارات هي:

- عدم التعامل مع رجال الدين، إذ يُحذر أن يقدم امبرطور أو ملك على تعيين رجل دين، وكذلك عدم التعامل مع رجال الدين الذين حصلوا على مناصبهم بالشراء.

وإذا كان "جريغوري" قد استطاع مكافحة "السيمونية" و "زواج رجال الدين"، فانه يتعذر عليه مكافحة التقليد العلماني، دون الاصطدام بالحكام العلمانيين، وتجلى هذا الصدام بين السلطة والدين من خلال احتجاج "هنري الرابع" henri4 على قرار "جريغوري السابع"، لأنه وجد نفسه الآن مأمورا من البابا لكي يحول الامبرطورية المقدسة إلى امبرطورية دنيوية.[1]

وبالرغم من قرار البابا إلا أن "هنري الرابع" تجاهل أقواله وأقدم على تعيين أسقفين "فيرمو" و"سبولوتو" بجانب روما اللتان كانتا ضمن السيادة البابوية، بالإضافة إلى طرده لأسقف "ميلان" الذي كان قد عينه البابا، وعين بدلا منه أسقفا جديدا[2]. فكانت هذه الحادثة هي التي فجرت الصراع بين البابوية والامبرطورية، فنجم عن ذلك إرسال "جريغوري" رسالة إلى "هنري الرابع" في اواخر1075م، انذره وهدده بقرار الحرمان ضده وعزله من منصبه إن لم يخضع هو لرأي الامبراطورية ويتراجع عن قراراته، فرد "هنري الرابع" بعقد مجلس "ورمز" الذي حضره جميع أساقفة الألمان حيث اتهموا البابا بالتدخل في شؤونهم الداخلية، فأرسلوا رسالة إلى البابا استهلت بما يلي: «من هنري الملك لا بالاغتصاب، بل بقضاء الهي ورع، إلى هلدبراند الذي لم يعد الآن بابا بل راهب مزيف»[3]. وانهي الرسالة بقرارات ورمز التي تقضي بعزل البابا.

---

[1] جون اهرنبرغ، **المجتمع المدني**، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم، (ط1؛ بيروت: المنضمة العربية للترجمة والنشر، 2008)، ص100.

[2] اشرف صالح محمد سيد، **تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى**، مرجع سابق، ص61 .

[3] نقلا عن جون اهرنبرغ ، **المجتمع المدني**، مرجع سابق، ص ص(101،100).

هنا نلاحظ تأكيد هنري على أحقيته كامبرطور وملك بقضاء الهي من السماء وليس تعيينا من قبل البابا، وبقوله كذالك راهب مزيف فهو ينفي صفة البابوية عن "جريغوري"، هذا ما أدى بالبابا إلى طرد الامبرطور والأساقفة من الكنيسة، وأعلن عزلهم، فبعزل البابا لهم أحرز نصرا، هذا ما دفع بالأمبرطور إلى الحضور للتوبة في "كانوسا" سنة 1077م، إلا أنها لم تكن سوى حركة سياسية قام بها الامبرطور لتحقيق أهدافه، لكن بالرغم بالإطاحة بالبابا في الأخير وفشل سياسته إلا انه قدر لها في الأخير النجاح من خلال من خلال اعتناق العديد من رجال الدين فكر "جريغوري" و دخولهم في صراع مع السلطة الزمنية[1].

المبحث الثالث:نتائج عصر النهضة ودواعي الإصلاح.

لقد كان لعصر النهضة دور مهم في بروز حركة الإصلاح الديني، نظرا لتلك الحركات الفكرية التي قامت آنذاك.

كما كان لحركة الترجمة بُدٌ في ذالك من خلال الإقبال الكبير على دراسة التراث اليوناني واللاتيني، من تشجيع للعلم وإنشاء للمكتبات، وبظهور الطباعة توطدت هذه الحركات وذاع صيتها في مختلف أنحاء أوربا مما ساعد على امتداد ونجاح عصر النهضة.

أ)النزعة الإنسانية humanisme :

تعتبر الحركة الإنسية هي ثاني أكبر العوامل التي غيرت مجرى التاريخ الأوربي، بعد النهضة العلمية والأدبية التي ارتبطت بالتراث الروماني والعودة إلى التراث القديم والثورة على كل ما استحدثه العصر الوسيط في شتى أنماط الحياة، فهذه الأخيرة تُعد العامل الأول الذي مهد

[1] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، تر: فؤاد زكريا، (د ط؛ الكويت: سلسة عالم المعرفة، 1983)،ج1، ص224.

لظهور الحركة الإنسية؛ التي تقوم بوجه خاص على دراسة الإنسان لنفسه، بعدما كانت في العصور الوسطى جل الدراسات منصبة على دراسة العالم والظواهر الكونية.

من هنا اتجه مفكري النهضة وروادها إلى الاهتمام أكثر بالإنسان، فمن هذه الحقيقة استمدت الحركة الثقافية الجديدة اسمها وهو" النزعة الإنسانية"* التي كانت من ثاني العوامل الكبرى المؤثرة في هذه الفترة[1].

وكان من زعماء هذه الحركة "إراسموس" erasmoe** و "ميكافيلي" و"برونو" وغيرهم، فقد بعثت هذه الحركة بتأثيرها إلى خارج إيطاليا ولكن بصورة مختلفة عما كان عند الإنسانيون الإيطاليون؛ الذين لم يكونوا يهتموا كثيرا بالدين فقد كانت الكاثوليكية في إيطاليا، عندئذ كما هي الآن جزء من الحياة اليومية، لا يتغلغل بعمق في ضمير الإنسان، وكان الدين بمعنى ما يقوم بدور العقل في حياتهم وكان أقل قدرة على إثارة مشاعرهم.

ويرجع عزوف الإنسانيين الإيطاليين عن الدين، إلى الفساد البابوي الذي كان حاصلا آنذاك، وما ينطويه من فساد أخلاقي لهيكل الكنيسة.

فقد عمد الإنسانيون إلى إعادة بعث التراث اليوناني، من خلال تجديد اهتمامهم بالتراث الأفلاطوني، فبالرغم مما كانت عليه الكتابات اللاتينية التي وضعها الإنسانيون الإيطاليون من

* **النزعة الإنسانية:** هي حركة فكرية سادت في عصر النهضة، وكانت تدعوا إلى الاعتقاد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقليد، وتتميز ببذلها جهود في سبيل رفع كرامة الفكر البشري وجعله جديرا ذا قيمة، وذالك بوصل الثقافة الحديثة بالقديمة، في ماعدا الفلسفة المدرسية والعصر الوسيط، ومن أشهر ممثلي هذا التيار نجد: "اراسموس" و "بترارك". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: اندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، مرجع سابق، ص556.

[1] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، تر: فؤاد زكريا، (د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1973)، ج2، ص16.

** **إراسموس:** ولد في روتردام سنة 1466م وتوفي في بال سنة 1526م، إنساني كان متطلعا في الأدب اللاتيني، حيث كتب كل كتبه باللغة اللاتينية، رحل إلى فرنسا وانجلترا، حيث تعلم اليونانية في أكسفورد وعلمها في كامبردج وإيطاليا وألمانيا، وكان نتاجه الفكري غزير جدا فقد نشر الأقوال المأثورة التي جمعها من القدامى، كما أصدر طبعة كاملة لأثار أرسطو، وكتب أيضا رسالة ضد لوثر رسالة في حرية الاختيار، فرد عليه لوثر برسالة في جبرية الاختيا ، وربما كان من أهم مؤلفاته مديح الجنون، عاش ارسموس في عصر الإنسية إلا أنه لم يشهد الحروب التي أدمت النصف الثاني من القرن السادس عشر(16م) . لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق، ص47.

السطحية، إلا أنها كانت ذات أهمية كبرى من حيث أنها مهدت الطريق لاكتشاف المعنى الحقيقي لجمال العالم القديم، فقد عرف الناس الدراسات الكلاسيكية اللاتينية في البداية، ومنها تتوقوا إلى الآداب الإغريقية ذاتها، وهكذا تدين أوربا الغربية للإنسانين فضل تعرفها من جديد على أفلاطون[1].

لقد كان التيار الإنساني يهدف منذ بداياته إلى التغيير والتجديد، وذلك من خلال سعيه إلى تحقيق سبل حياة جديدة تواكب موجة التطور والتغيير المدهش لمختلف التقنيات الآلية، التي غيرت مجرى الحياة المادية لأوربا، حيث لاحظ الإنسانيون أنه إلى جانب هذه التغيرات المادية لابد من تغيير على مستوى الرؤى والأفكار والنظريات، يكون منفصلا تماما عن الرؤى التقليدية السابقة.

فمن هذا المنظور يمكن القول أن الحركة الإنسانية؛ هي حركة تمرد واعية بذاتها، تمرد ضد أسلوب حياة ألفته فاسدا شديد التعقيد، باليا كريها، عمد الإنسانيون فيما يبدو إلى فتح نافذة يدخل منها هواء نقي[2]. فالتيار الإنساني إذن؛ عزف من الماضي، لذلك سعى لفتح ثغرة جديدة تجلب نسمات مغايرة حتى ولو أنها لا تزال مفعمة بالماضي، إلا أنها بعيدة كل البعد عن الأطروحات المدرسية التي كانت سائدة من قبل.

تعد النزعة الإنسانية اللبنة الأولى لظهور مختلف المذاهب الفكرية والفلسفية التي تشكلت بعدها، بل أكثر من ذلك فقد كانت تمهيدا فكريا لمعظم الثورات التي قامت في أوربا، حيث أنها كانت موجهة للفلسفة الدينية والأخلاق الإقطاعية، من هنا كانت مطالبها هي الحرية والتمتع

[1] هربرت فيشر، **أصول التاريخ الأوربي الحديث**، تر: زينب عصمت راشد و احمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة، أحمد عزت عبد الكريم، (ط 3، القاهرة: دار المعارف، 2001)، ص35.
[2] كرين بريتون، **تشكيل العقل الحديث**، تر: شوقي جلال، (د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1984)، ص57.

بحياة الدنيا، وتحرير الإنسان من الاضطهاد واللامساواة، فاتصفت هذه النزعة بصفة التجريد بسبب ردتها إلى مطالب الإنسان الأساسية لتحقيق طبيعة الإنسان الأصلية السرمدية.[1]

حيث يشبه "برينتون" النزعة الإنسانية بالعباءة ينطوي تحتها كل من كانت له نظرة إلى العالم، لاهي لاهوتية أساسا، ولا عقلية في المقام الأول، فحسب هذا الاستعمال لن تكون النزعة الإنسانية موضعا وسطا بين غيبيات الدين وبين العلوم الطبيعية، وهذا يتجلى في مذاهب القرن الثامن عشر(18م) التي جمعت بين الشك والإيمان والإلحاد، فالنزعة الإنسانية هي تمرد على العصور الوسطى ونظرتها للكون دون تقديم رؤية بديلة وواضحة خاصة به عن الكون، إن الإنساني يريد أن يكون ذاته، بيد أنه غير واضح تماما بشأن ما يريد هو أن يفعله بذاته، وكيف يصوغها[2].

ب) حركة الترجمة والطباعة:

كان لحركة الترجمة دور مهم في توجيه الفكر المدرسي خاصة والفكر الغربي عامة، فبعدما كانت تعاليم أفلاطون هي المسيطرة على الفكر المدرسي، إلا انه بحلول القرن الثالث عشر(13م) أخذت الفلسفة الأرسطاطالية الريادة، وبدأت تغزو المدارس والجامعات، ولم يكن هذا الانحراف في مجرى التاريخ حادثا عرضيا ساقته المصادفة، ولكنه كان نتيجة مباشر لنهضة فلسفية قام بها المسلمون، فقدموا للغرب ترجمات لكتب أرسطو، الذين كانوا لا يعرفون عنه سوى كتاب المنطق[3].

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (د ط؛ الإسكندرية: دار الوفا للطباعة والنشر، 2001)، ص42.

[2] كرين برينتون، **تشكيل العقل الحديث**، مرجع سابق، ص34.

[3] زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، (د ط؛ القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936)، ص24.

فقد ساعد انتشار الطباعة في امتداد ونجاح حركة النهضة فقد أفضى اختراع الطباعة إلى تغيير جذري في شتى أنماط الحياة الفكرية والاجتماعية، حيث استطاع الأوربيون خلال الحروب الصليبية أن ينقلوا الطباعة بالقوالب من العرب إلى أوربا، حيث أدخلوا عليها جملة من التعديلات، إلا أن طوروها من الطباعة بالقوالب إلى الطباعة بالحروف[1].

إذن ؛ كان لاختراع الطابعة وتطويرها الأثر البالغ في نجاح واتساع حركة الإنسانيين، فهذا هو الذي ساعد في النهاية على هدم السلطات القديمة، ذلك لأن توفر الكتاب المقدس مطبوعا بين أيدي الناس ومترجما إلى الألسنة القومية، قد أفسد على الكنيسة إدعائها الوصاية على أمور العقيدة.

كما أسهم اختراع الطباعة أيضا في التقدم العلمي ونشر المعارف والأفكار، ولولا هذا لما حدثت كل هذه التغيرات الجذرية ولا ظلت القراءة والكتابة حكرا على النخبة من أبناء الفئات الاجتماعية العليا، ورجال الدين، فبفضل الطباعة أصبحت الكتب في متناول الناس[2]. كما اتسع نطاق الترجمة التي ساهمت هي بدورها في نشر الوازع الديني المسيحي من جهة، وكذا ترجمة الكتاب المقدس إلى الألسنة القومية، فبعد انتشار هذه الترجمات أدرك الناس أن ما يروى عليهم من قبل رجال الدين به مخالفات ومتناقضات لما هو موجود في الكتاب المقدس، فمنذ ذلك الحين بدأ الشك يساور العقول في حقيقة رجال الدين.

إذن؛ أصبح الإنسان المسيحي يدرك التعاليم المسيحية دون وساطة رجال الدين، كما أدركوا أيضا بطلان ما كانت تمليه عليهم السلطة البابوية.

[1] ضمد كاظم وسمى، **النهضة الأوربية وقضية الحرية**، (د ط؛ بيروت: صدر عن منتديات ليل الغربة، 2009)، ص24

الفصل الثاني: الإصلاح الديني

- المبحث الأول: عوامل الإصلاح الديني
- المبحث الثاني: أشكال الإصلاح الديني
- المبحث الثالث: امتداد حركة الإصلاح الديني في أوربا(انجلترا أنموذجا)

شهدت أوربا حركة فكرية مست جميع جوانب الحياة اليومية، فقد كان لحركة النهضة الأوربية كما رأينا في الفصل السابق بالغ الأثر في إعادة توجيه المسار الفكري الغربي الأوربي.
ولعل أهم النتائج التي تمخضت من جراء عصر النهضة هي ضرورة النهوض ضد الفكر السكولائي، القائم على العامل الروحي، وإعادة الاعتبار للإنسان ذاته.

المبحث الأول:عوامل الإصلاح الديني.

إن التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شاهدتها أوربا، سببها هو عدم مواكبة تلك المؤسسات القديمة لمقتضيات التطور التي عرفتها أوربا خلال هذه الفترة الناتجة عن عصر النهضة، بالإضافة إلى تسلط الهيئات الحاكمة على الفكر والحياة، وكذا الطغيان والاستبداد السياسي والاجتماعي، هذا ما دفع ببعض الشخصيات الفكرية ودعوتهم إلى النهوض ضد الموروث الفكري ومحاولة التخلص منه، ولا يتأتى للمرء هذا دون القيام بثورة تفجر براكينها للانتقام من الماضي ومحاولة إيجاد سبل جديدة، تضمن حياة أفضل للمجتمع و تراعي حرياته، فقد كان إذن عصر الإصلاح الديني بمثابة فترة تغيير واستحداث لمفاهيم جديدة مناهضة لتلك الممارسات القديمة في إطارها الديني، حيث أن هذا الإصلاح جاء نتيجة لعوامل كثيرة نذكر منها:

1= العامل الديني:

كانت الكنيسة في العصور الوسطى هي المسيطرة على كافة مناحي الحياة، حيث استبدت بالناس وأرهقتهم بقيودها التي فرضتها عليهم لقرون طويلة، فطمع رجالها في احتكار المنافع العامة وفرض الضرائب مما نتج عنها انغماس القساوسة والباباوات في ألوان الترف وأنواع النعيم، حيث تحول رجالها إلى إقطاعيين يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي، يبيعون المناصب الدينية مقابل الخلاص الأخروي ويتاجرون بصكوك الغفران، وبالتالي أصبحوا يحيون حياة بعيدة عن المسيحية.

كما أن الكنيسة جعلت الدين خادما لمصالحها، حيث اعتنى كبار رجال الدين بالحصول على النفوذ والأموال بوسائل منحطة من اجل الترف والحياة الرغيدة على حساب الدين وتعاليمه، ببيعهم الوظائف الكنسية وصكوك الغفران التي شجعوا بها أهل الغنى واليسار على الفجور، وتوزيعهم رحمة الله كما كانوا يزعمون، يقول بعض المؤرخين « خضعت الكنيسة لحكم الشيطان، وكان رجال الدين من أعوانه، إن الذئب يتنكر للإوز ويتودد إليه حتى يجتمع حوله، فإذا فعل سارع إلى التهامه وافتراسه، وكذالك رجال الدين يعظون ويرتلون الأناشيد، ليخدعوا الناس ويضلوهم عن سوء السبيل ويقدوهم إلى موطن الهلاك »، ويقول أخر« أهملت عبادة الله، وصارت الكنائس بؤرة للفسق والفجور، والأديرة مرتعا للبغايا، فكثرت المظالم وفاضت تقوى الله من القلوب وبيعت المناصب المقدسة، وكره الناس دينهم لما شهدوه من مساوئ زعمائه »[1].

من خلال هذا نلاحظ، أن المسيحي مل من هذا الدين الذي طالما قيده وفرض عليه نفقات هو بغنى عنها،بالإضافة إلى هذا فان اهتمام رجال الدين بحياة البذخ ومظاهر الترف، افقد الكنيسة هذه المهمة الدينية بعض هيبتها واحترامها لدى الجماهير الأوربية، فأصبح رجال الكنيسة يملكون قصورا لا تختلف عن قصور العلمانيين، فبدل من أن يتفرغ هؤلاء للدين والدعوة الدينية، قد اهتموا بالحياة الدنيوية ومظاهرها فأصبحوا من كبار الإقطاعيين في أوربا.

كما كان لامتداد سلطان البابا في كل جهة من أوربا، الأثر البالغ في تكوين الاستبداد الملكي، وجعلوا منه دستورا رجعيا، كما سعى الأوربيون إلى خدمتهم ونيل رضاهم بكل الوسائل، باعتباره خليفة الله في الأرض، هذا ما جَر إلى طغيان البابا وأعوانه، فادعى بأنه وحده صاحب الحق المطلق في التصرف في أموال الكنيسة، وجعل لأعوانه امتيازات أخرجهم بها من سلطة الملوك، ففتح بذلك بابا واسعا من أبواب الإجرام، وهذا ما يعرف بالتنظير الثيوقراطي للحكومة.

[1] نقلا عن محمد علي مصطفى، خير الدين محمد عبدى، **تاريخ الفلسفة**، (ط1؛ مصر: المطبعة الرحمانية، 1993)، ص ص(238،249).

لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تمارس سلطة سياسية واسعة إبان العصور الوسطى، فضلا عن سلطتها الدينية، فرجالها كانوا يديرون منضمة دينية متقنة انتشرت فروعها في جميع أنحاء أوربا الغربية، كانت مستقلة عن الدولة، وادعت أنها ارفع منها شأنا، كما فرضت الضرائب على أعضائها، وحاكمت رجال الدين وأحيانا المدنيين دون تدخل المحاكم المدنية.

ففي نهاية القرن الخامس عشر(15م) وبداية القرن السادس عشر(16م)، انتشرت فضائح البلاط البابوي في جميع أرجاء أوربا، فكان "لإسكندر السادس" Allexander(1492-1503) عديم الأخلاق، انغمس في الموبقات وحاول جمع المال بشتى الوسائل للحصول على إمارة لابنه غير الشرعي، كما أن البابا "جوليس الثاني" Juliesse (1503-1510) كان يميل إلى الحرب وتقوية ممتلكات البابوية، وكذا طرد الفرنسيين من إيطاليا فانشغل بالسياسة والمؤامرات، أما البابا "ليو العاشر"Leo (1513-1521) فقد جمع المال بشتى الوسائل لبناء كنيسة "القديس بطرس" Saint Betrous في الفاتيكان[1].

من خلال كل هذا لاحظنا كيف انغمس رجال الدين في الملذات على حساب الكنيسة وتكوين الثروة، على كاهل الطبقة العامة ومردود ما يسمى بصكوك الغفران، إلا أن هذا لا يعني فساد كل رجال الدين فقد كان هناك رجال مخلصين انتقدوا مساوئ الكنيسة ونبهوا الباباوات بذلك في تقاريرهم السنوية ونصحوا بوجوب الإصلاح، حيث بدأت الثورات تنشب ضد الدين النصراني في أوربا، من جراء مواقف وممارسات رجال الكنيسة المنافية للدين والأخلاق بصفة عامة، فبدأت تظهر على السطح مظاهر الإصلاح على أيدي رجال أرادوا تنقية الدين من الشوائب، والتزييف، والإضافة.

[1] أكرم عبد علي، **تاريخ أوربا الحديث**، (ط1؛ عمان: دار الفكر، 2010)، ص38.

ومن بين هؤلاء المصلحين نجد كل من "جون ويكلف" Jean Wyclif(1330-1384)* في إنجلترا و"جون هس" jean Hess في بوهيميا (1380-1450)، اللذان خالفت تعاليمهما تعاليم الكنيسة، ورفضهم لبعض العقائد الكاثوليكية ونادوا بوجوب الرجوع إلى الكتاب المقدس وحده والاحتكام إلى الضمير في جميع المسائل الدينية، فهذه التعاليم هاجمت ذلك السلطان الدنيوي وتلك الثورة الطائلة التي يتمتع بها رجال الدين وأخيرا رفضهم لسلطة البابوية.

إن الفساد الذي كانت تعاني منه الكنيسة من الناحية الدينية، والفراغ الروحي والأخلاقي كان بمثابة العامل الأساسي، الذي دفع بالمفكرين إلى ضرورة إعادة إصلاح الكنيسة بذاتها، وهو ما يصطلح عليه الإصلاح الداخلي، وبعد فشل هذا الإصلاح جاء ما يسمى بالإصلاح الخارجي، وهو ما تزعمه كل من "مارتن لوثر" و"جان كالفن".

2= **العامل الاقتصادي:**

إضافة للعامل الديني هناك العامل الاقتصادي الذي ساهم هو الأخر في ظهور حركة الإصلاح الديني، فقد كان التدهور الاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تعاني منه أوربا، من أهم الأسباب التي غذت ثورة الفلاحين أولا ثم ثورة الفرسان ثانيا.

أ) **ثورة الفلاحين:**

بعد أن كانت طبقة الفلاحين القاعدة التي قام عليها المجتمع الإقطاعي ومصدر الرزق الأساسي لذالك المجتمع، فهي الطبقة التي استمد منها الباباوات والملوك والإقطاعيين الحياة إذ

*__جون ويكلف jean wyclif:__ لاهوتي ومصلح ديني انجليزي، ولد في وايكليف بين1320-1330، من أسرة من صغار النبلاء، وتوفي سنة1384م، كان يهتم باللاهوت والقانون الكنسي بالقانون المدني الانجليزي، ترأس كلية باليول في جامعة أكسفورد سنة 1361م، ودرس فيها الفلسفة واللاهوت ابتدءا من 1372م، وقد كلف بالدفاع عن حقوق التاج الانجليزي ضد البابا بصفته خبير في القانون الكنسي والقانون المدني.ترجم وايكيلف الكتاب المقدس إلى الانجليزية، كما كتب جملة من المؤلفات منها: "الحوار الثلاثي بين الحقيقة والكذب والحصانة"، "في السلطة البابوية"، "في الكنيسة"، "في حقيقة الكتاب المقدس"، وقد كانت كل كلها باللغة اللاتينية، حيث كان تأثيره كبيرا، فقد مهد الطريق لحركة الإصلاح البروتستانتي، وعندما أدان مجمع "كونستانتر" مذهب "جان هس"، أمر بأن ينبش رفات "ويكلف" ويحرق وينثر رماده مع الريح سنة 1415م. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طرابيشي، __معجم الفلاسفة__، مرجع سابق، ص(732،733).

كان الاعتماد عليهم كليا في المأكل والملبس، إلا أنها بالرغم من كل هذا كانت موضع احتقار من قبل النبلاء ورجال الدين.

لقد كانت هذه الطبقة محلا للنهب من قبل الطبقات الأخرى، ومع أن أصحابها كانوا يعانون من ويلات الفقر والتدهور الاقتصادي الذي حل على الزراعة، وتكادست عليها الرسوم والضرائب المختلفة، ولم تكن لها أية امتيازات اقتصادية أو اجتماعية، حيث أن حركة الإصلاح الديني كانت الأمل الذي دفعهم للخروج من ذلك الطغيان والظلم الذي كانوا فيه، حيث أن حركة "مارتن لوثر"، وجدت إقبالا شديدا من طرف الفلاحين نظرا لمبادئها التي تدعوا إلى الحرية والإخاء، فكانت اقرب ما يكون لتحقيق أمال الفلاحين، ظف إلى ذلك ما تحمله من مبادئ تكاد تكون هجومية على الكنيسة الكاثوليكية، هذا ما أدى إلى انضمام عدد كبير من الفلاحين إلى الحركة للتخلص من تلك الأثقال التي طالما أرهقتهم بها الكنيسة.

وفي سنة 1491م في ضيعة رئيس دير لرهبان في "الالزاس" L'Alzasse، الذين كرهوا أن يكونوا رقيقا للأرض بوثائق مزيفة، حيث عقد الامبرطور "فريدريك الثالث" معهم المصالحة، إلا انه بعد مرور سنتين من الزمن أعلن أسقف "ستراسبورغ" Strasbourg في فرنسا ثورة الفلاحين، حيث أعلنوا عن مبادئ ثورتهم.

لقد انتشرت ثورة الفلاحين في كل من الحوض الأدنى لنهري الألب والراين وسكسونيا، حيث تلخصت جملة مطالبهم في ما يلي:

- إلغاء الرق، وان يعامل الفلاحون بالطريقة التي وضعها الكتاب المقدس وليس كعبيد.
- قصر ضريبة العشور على الحبوب.
- إعطاء الفلاحين الحق في الصيد.
- إعطاء الفلاحين الحق في تعيين رجال الدين في مناطقهم.

- عدالة القيمة الإيجارية للأرض الزراعية[1].

حيث كان لهذه المبادئ التي أعلنتها هذه الثورة بمثابة فك للعديد من القيود واتضحت لديهم جملة من الحقائق، فبعد ما كان الفلاح مجرد عبد خاضع لسيده يأخذ برأيه في كل كبيرة وصغيرة إلا انه بظهور هذه المبادئ انقلبت كل الموازين وبدت للفلاحين أهدافا صاروا يصبون لتحقيقها.

ب) ثورة الفرسان:

بعد الحديث عن طبقة الفلاحين وثورتهم من خلال رفضهم لذلك النظام القديم والاستبداد، يجدر بنا الحديث أيضا عن طبقة الفرسان وثورتهم وما لعبته في المساهمة في انتشار الحركة الإصلاحية، فقد كانت ألمانيا تزخر بعدد كبير من الفرسان، الذين كانوا ينتمون إلى طبقة النبلاء إلا أنهم فشلوا في تطوير أنفسهم، ومواكبة ركب التطور الذي بدأ يظهر مع بداية عصر النهضة، فقد كان اعتمادهم على الأراضي في الوقت الذي تضاءلت فيه قيمة الأرض الزراعية كمصدر أساسي للثروة، كما أنهم لم يستطيعوا أيضا مواكبة تطور أساليب القتال.

لقد كان لهذه الطبقة من قبل امتيازات وموارد مالية ضخمة نتيجة لما يقومون به في الحروب، إلا أن هذه الامتيازات والموارد المالية فُقدت مع انحلال النظام الإقطاعي* في ألمانيا، ولم يعد لهؤلاء الفرسان أية موارد مالية أو امتيازات، لهذا فإنهم كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب للفلاحين حتى أضحت هذه الطبقة اشد الطبقات كرها في ألمانيا[2].

بعد قيام حركة مارتن لوثر وجد هؤلاء الفرسان في هذه الحركة فرصة لاستعادة بعض

---

[1] عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، (د ط؛ مدينة نصرا: دار الفكر العربي، 1999)، ص121.

* **النظام الإقطاعي:** أطلق الباحثون اسم النظام الإقطاعي على النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي ساد في العصور الوسطى، وقد اختلف هذا النظام عن النظام الذي ساد في العصور القديمة من جهة، والنظام الذي ساد في العصر الحديث من جهة أخرى، وإذا كان النظام الإقطاعي قد نشأ وتطور في أوربا الغربية . لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: نعيم فرح، **تاريخ الحضارة الأوربية**، مرجع سابق، ص98.

[2] - عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، مرجع سابق، ص125.

ما فقدوه، فاخذوا من هذه الحركة ذريعة وقاموا بالهجوم على الكنائس وهدموا التماثيل والإيقونات الموجودة بها، وقد قاد هذه الحركة فارسان هما "فرنزفون سيكجن" Frans Vonsickgen وصديقه "اليرك فون هوتن" Elierk Von Hutten، حيث قام هذان الفارسان بوضع خطة عسكرية للهجوم على مدينة "تريف" TRouf وحاولا طلب المساعدة من المدن المجاورة إلا أنهما فشلا في ذلك، كما أن لوثر امتنع هو الأخر عن تأييد هذه الحركة، ونتيجة لكره الفلاحين للفرسان فان هذه الحركة فشلت فشلا ذريعا فقُتل "سيكنجن" وهرب "هوتن" بعد ذلك إلى سويسرا حيث توفي هناك فقيرا[1].

3= **العامل الجغرافي:**

لقد كان لانتشار الإصلاح الديني في أوربا جملة من العوامل، وأبرزها العامل الجغرافي، حيث نجد أن حركة الإصلاح الديني وجدت في بعض المناطق تأييدا في حين نجدها في مناطق أخرى لم تستطع التغلغل في أوساطها، ويمكن إرجاع هذا إلى سببين هما:

انتشار الحركة الإصلاحية في المدن المتحضرة، لما تتميز به من ليونة وتقبل للآراء، في حين نجد عكس ذلك في المناطق الريفية التي تتسم بتعصبها لأرائها وتقاليدها الدينية وتمسكها بالديانة الكاثوليكية.

ولما كان التعصب الديني يشل حرية التفكير ويقف حجرة عثرة أمام كل محاولة ترمي إلى تحرر الإنسان من الاستبداد، ويكبت أية تطلع للكشف عن أسرار الطبيعة وتوظيفها في خدمة الإنسانية، لذلك كانت حركة الإصلاح الديني موفقة نحو عالم جديد في تاريخ أوربا[2].

فمثلا في ألمانيا نجد البروتستانتية، قد لقيت انتشارا في المدن المتحضرة، في حين بقي الأرياف متمسكين بالكاثوليكية.

---

[1]- المرجع نفسه، ص126.

[2] - ضمد كامل ظاهر، **النهضة الروبية وقضية الحرية**، مرجع سابق، ص(95 ، 96).

وهو الحال بالنسبة لفرنسا حيث في "اقليم برجندي" Département Brigindy، "ديجون"Dijon و"واكسون"auxon و"بيون" Beaun، التي التقت كلمتها على تأييد الكنيسة الكاثوليكية والتصدي لحركة الإصلاح الديني، والسبب في أن هذه المناطق انضمت حديثا إلى التاج الفرنسي في نهاية القرن الخامس عشر(15م)، حيث وعدو بالمحافظة على الكاثوليكية، والأهم من ذلك أن قطاع مهم من اقتصاد الإقليم كان مرتبط بصناعة الخمر الأحمر الذي يستخدم في القداس، حيث كان من المتداول في هذا الإقليم أن الله هو الذي اختار هذه الأرض لصناعة الخمر لكي يتحول إلى دم المسيح في العشاء الرباني[1]. فنلاحظ هنا أن العادات والتقاليد وقفت عائقا أمام تقدم حركة الإصلاح الديني الفرنسي.

أما أهل الريف في إنجلترا فقد اهتموا بالمسائل الكبرى التي دار حولها الجدل، والتي كانت تشغل اهتمام الناس في القارة الأوربية كالمسائل المتعلقة بالقدرية والتبرير بالإيمان، وكان الرجل الانجليزي العادي يكن في قرارة نفسه ولاءا غريزيا للأمور المتواضع عليها وخاصة القداس والطقوس الكاثوليكية[2].

من خلال ما سبق، يتضح للعيان أن الإصلاح الديني كان يتحكم فيه العامل الجغرافي– إضافة للعامل الديني والاقتصادي – إذ نجد أن لهذا التيار صدى أقوى في المدن الحضارية، خلافا للمدن اقل تحضرا وذلك نتيجة التعصب والتمسك بالموروث الديني الكاثوليكي.

[1] - يونس عباس نعمة، **مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية**، المجلد 4، ع 1، ص (198،197).
[2] - هربرت فيشر، **أصول التاريخ الأوربي الحديث**، مرجع سابق، ص113.

المبحث الثاني:أشكال الإصلاح الديني.

بعد أن كان المجتمع الأوربي خلال العصور الوسطى يعيش تحت وطأة العوائق والقيود التي تحيط به، فقد شهد تغيرات اقتصادية كبيرة، منذ القرن الخامس عشر(15م)، الذي كان له اثر كبير على الحياة السياسية والاجتماعية فيما بعد.

حيث كانت بداية التغيير بانهيار الكنيسة الكاثوليكية، بفعل الثورة البروتستانتية التي مزقت البناء الثيولوجي القديم من داخله، ذلك البناء الذي يتضمن توجيها إيديولوجيا لواقع متميز من المعالم، من حيث تفاعلاته وعلاقته وضوابطه ونضمه الاجتماعية، وهي المكونات التي ترجع في مرتكزاتها الأساسية إلى ما تمليه الديانة الكاثوليكية[1]. حيث كانت انطلاقة هذه الإصلاحات من ألمانيا على يد مارتن لوثر، وهناك جملة من الأسباب جعلت ظروف قيام الإصلاح الديني تتضج في ألمانيا بالذات، وتفسر لماذا قامت حركة الإصلاح الديني في ألمانيا بدل قيامها في فرنسا أو انجلترا مثلا؟

سبب قيام هذه الحركة في ألمانيا دون غيرها من الدول الأوربية الأخرى، يرجع إلى تلك الحروب والاضطرابات الداخلية والخارجية التي كانت تشهدها أوربا آنذاك، حيث كانت كل من انجلترا وفرنسا تخوضان حروبا دامت مئة عام، كما كانت ايطاليا تعاني من الانقسامات الداخلية، في حين أن ألمانيا كان اقتصادها في أوج التقدم.

كما أن الشعب الألماني كان يكن العداء على كنيسة روما، لأنه رأى أن الكنيسة تقوم باستنزاف ثرواتهم لصالح الغرباء هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت تشهد قيام مدن كبرى أكثر تحضرا مثل فرانكفورت، بالإضافة إلى تلك التطورات التي ترتبت عن النهضة الأوربية، كالكشوف الجغرافية واختراع الطابعة التي كانت من أهم الأسباب التي ساهمت في انتشار الإصلاح الديني، وبالتالي نضوج الفكر الألماني وتقبله لفكرة الإصلاح.

[1] - مولود زايد الطبيب، **علم الاجتماع السياسي**، (ط1؛ ليبيا: منشورات جامعة السابع من ابريل، 2007)، ص40.

أ)اللوثرية:

اللوثرية في ألمانيا سميت بهذا الاسم نسبة إلى مارتن لوثرmartin luther، هو مصلح ديني ألماني ومؤسس البروتستانتية، ولد في ايسليبن lhysleben سنة1483م ومات في هذه المدينة نفسها سنة1546م وكان أبوه عامل منجم، وأسرته من الفلاحين، تلقى تعليما جيدا في ماغدبورغ Mogdbourg و إيزناخ، نال شهادة البكالوريوس في الأدب من جامعة إرفورت سنة 1502م، ثم شهادة الفنون الحرة سنة1505م، كما درس القانون أيضا لتلبية رغبة والده، فبعد أن سار لوثر في هذه الوجهة الجديدة بوقت قليل نذر أن يدخل الدير تحت وقع الرعب الذي انتابه في أثناء عاصفة كاد أن يهلك فيها، وهكذا انتسب سنة 1505م إلى رهبانية القديس أوغسطينSaint Augustin .

بعد حصوله على درجة البكالوريا في الكتاب المقدس سنة 1509م عين مدرسا للاهوت، وبعد نيله شهادة الدكتوراه في الكتاب المقدس، حصل على كرسي الكتاب المقدس في "جامعة فيتنبرغ" الناشئة سنة 1512م، والتي ألقى فيها جملة من الشروح أرسى من خلالها لاهوته، فبعد أن ذاعت تلك الشروح كانت آماله بتجديد اللاهوت سنة 1517م، وقد عرض أفكاره الجديدة في رسالته في حرية المسيحي، ثم في كتابه الإصلاحية خاصة في خطابه إلى النخبة المسيحية للأمة الألمانية سنة 1520م، وفي الأسر البابلي للكنيسة الذي ضمنه تحليلا نقديا لتعاليم كنيسة روما، فبسبب هذه الكتابات حرم لوثر كنسيا، حيث أقام بقلعة "وتنبورغ" تحت حماية الدوق الكبير فردريك، وهناك كتب لوثر القداس الخاص والنذر الرهبانية، كما ترجم العهد الجديد إلى اللسان الألماني، وكتب أيضا السلطة الزمنية وحدود الطاعة الواجبة لها، الذي وضع فيه حجر الزاوية في نظرية الدولة وغيرها من الكتابات[1].

[1] - جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق، ص ص(587، 589).

- **الثورة اللوثرية:**

كان هناك جملة من العوامل التي مهدت لظهور ثورة الإصلاح الديني، فبحلول القرن السادس عشر(16م)، ظهرت الدعوة إلى الإصلاح بشكل عنيف، فقد جاء مارتن لوثر للثورة على الكنيسة الرومانية في نهاية القرون الوسطى وبداية العصور الحديثة، بعد أن رأى فساد رجال الكنيسة، وتلك البدع التي روج لها في أوربا خلال هذه الفترة، خاصة صكوك الغفران باعتبارها ضمان لغفران الخطايا، فلوثر يرى أن الإيمان يأتي في المقام الأول قبل الأعمال، باعتباره طريق الإنسان الوحيد للخلاص، وانه لا يمكن التخلص من الخطايا ولكن الصلاة والزكاة والصوم هي وسائل يتقرب بها الإنسان إلى خالقه ليصل إلى رحمته ، وكان وصول لوثر لهذه العقيدة يعني بداية نضاله ضد الكنيسة الكاثوليكية*. [1]

نجد أن لوثر انتقد ممارسات الكنيسة الرومانية، وتلك البدع التي تروج لها، واعتبر الظاهرة الدينية شخصية (الإيمان الذاتي).

ورغم أفكار لوثر المناهضة للكنيسة الكاثوليكية، إلا أنها لم تشعر بها إلا حين تصدى لوثر سنة 1517 لراهب أرسله البابا " ليو" Léo إلى ألمانيا، حيث كان بحاجة إلى الأموال لإعادة بناء كنيسة القديس بطرس الرسول[2].

إذن؛ لوثر كان يعتقد بان الغفران لا يأتي إلا عن طريق الإيمان الفردي برحمة الله وليس من حق الكنيسة ولا رجالها منحه إلى الناس، لأنه هبة من الله للتائبين.

وتجلت ثورة لوثر ضد هذه الصكوك بكتابته للاحتجاج، الذي علقه على كنيسة "فيتنبرغ" Wittenberg سنة 1518 والتي تتألف من 95 بندا، ضمنها أرائه وموقفه من قضية صكوك

---

*__الكنيسة الكاثوليكية :__ مأخوذة من لفظ اليونانية catholicos، وتعني العالميuniversal وتعد اكبر تجمع مسيحي في العالم، حيث يقدر أتباعها بقرابة مليار مسيحي قي العالم، حيث استعمل لفظ كاثوليك لأول مرة من قبل القديس أوغسطين عام110م، ثم استعملها اللاهوتي" كلمنت الاسكندراني" (150-215م) ، وهو احد الآباء العظام للكنيسة الكاثوليكية. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: أكرم عبد علي، __تاريخ أوربا الحديث__، مرجع سابق، ص36.

[1] عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، __التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى__، مرجع سابق، ص121.

[2] أحمد شلبي، __مقارنة الأديان 2 المسيحية__، (ط 10؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998)، ص259.

الغفران وقضايا أخرى كثيرة، في الواقع لم تهاجم أطروحات "لوثر95" الدعاة لصكوك الغفران فحسب، بل هاجمت أيضا بابا الكنيسة الرومانية لسماحه بمنح هذه الصكوك نظير أموال رصدت لتشييد كاتدرائية "سانت بييتر" الجديدة في روما.

وقد اتسمت بعض هذه الأطروحات بالجرأة، حيث كتب "لوثر" أنه من الغرور الثقة في نيل الخلاص بصكوك الغفران، حتى وان وهب البابا روحه ضمانة لذلك، وتساءل لوثر فيما بعد: لماذا لا يشيد البابا الكاتدرائية بأمواله الخاصة بدلا من أموال المسيحيين الفقراء؟ فكان يجب أن يعلم المسيحيين أن إخراج الصدقات للفقراء والمحتاجين خير من شراء صكوك الغفران. [1]

من خلال هذا نلاحظ استياء لوثر من ممارسات رجال الكنيسة، فقد أعلن أيضا بضرورة الرجوع إلى الكتاب المقدس وحده، دون الاعتماد على رجال الدين، الذين يعتمدون في تأويل النصوص المقدسة على بناء المصالح الذاتية.

- **مبادئ اللوثرية:**

كان لا بد لأي حركة من وجود جملة من المبادئ تقوم عليها،كما هو الحال بالنسبة للوثرية التي تتجلى مبادئها فيما يلي:

– جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية.

– عدم قصر تفسير الكتاب المقدس على رجال الدين، واعتباره حق مشاع لكل مفكر ودارس، وإلغاء حق البابا في إصدار صكوك الغفران.

– إباحة الزواج للقس، والطلاق للمسيحيين.

– عدم إنشاء أديرة جديدة وإلغاء بعض الأديرة القديمة.

[1] سكوت إتش هندريكس، **مارتن لوثر**، تر: كوثر محمود محمد، (ط1؛ مصر: الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص ص (33 ، 34).

– ليس للكنائس البروتستانتية رئاسة عامة، فلكل كنيسة رئاستها، وعمل الرئاسة هو الإرشاد، وتوجيه من لا يستطيع أن يستقل وحده بفهم الكتاب المقدس.

– ترجمة الكتاب المقدس لألسنة مختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف ألسنتهم وحتى تكون صلاتهم وتراتيلهم بلغة يفهمونها، وكذا تقريب العقيدة من الفهم وإدراك الشرخ القائم بين ما تدعوا إليه الديانة المسيحية الحقة وما يدعوا إليه رجالها.

– لا علاقة للعشاء الرباني بجسم المسيح ودمه، وانه ليس إلا ذكرى.

– عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، وعدم السجود لها لان ذلك اقرب للوثنية.

–ولعل من أهم المبادئ التي جعلت الأمراء يلتفون حول لوثر هي: إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية[1].

فبهذه المبادئ التي أعلنها لوثر، يعتبر خارجا عن الكنيسة الكاثوليكية ومبادئها، فقد أدى إعلانه هذا إلى اصدرا قرار الحرمان ضده من قبل البابا، ذلك سنة 1520م، فكان رد "لوثر" بان اصدر الرسائل الثلاثة العظمى في حركة الإصلاح الديني، ولم تكن هذه الرسائل للرد على قرار الحرمان فقط، بل أكثر من ذلك قيامه بحرق قرار الحرمان في ساحة "كنيسة فتنبرغ".

هذا ما جعل البابا يطلب من الامبرطور "شارل الخامس"(1519–1555) أن يقتص من لوثر و ينفذ قرار الحرمان الصادر ضده، فعقد الامبرطور مجمعا في "ورمز"Worms سنة 1521م لمناهضة أراء لوثر ومطالبته بسحب كل ما كتبه، إلا أن لوثر آبى عن ذلك، ولم يسحبها إذا كانت لا تتعارض مع نصوص الكتاب المقدس أو المنطق، هذا ما جعل المجمع يعتبر لوثر خارج عن القانون وإهدار دمه[2].

[1] أحمد شلبي، **مقارنة الأديان**، مرجع سابق، ص260.

[2] صلاح أحمد هريدي، **تاريخ أوربا الحديث**، (د ط؛ الإسكندرية: دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، 2008)، ص 136.

بعد تلك الأفكار التي نشرها لوثر، أسرعت السلطات الكنسية إلى الضغط على لوثر حتى يتراجع على أفكاره، لكي لا تنتشر هذه الأفكار على أوسع نطاق، لأنهم رأوا فيها إضعاف لسلطانهم وقضاء على سلطتهم الاستبدادية التي طالما مارسوها على العقول.

فبعد إعلان هذا القرار من قبل امبرطور ألمانيا "شارل الخامس"، احتج سنة 1529 مؤيدو الحركة اللوثرية في محاولة إحياء أحكام مجلس "ورمز" التي قضت بتجريد لوثر من حقوقه المدنية، واعتباره خارجا عن القانون.

- **موقف الامبرطور شارل الخامس من الحركة اللوثرية:**

لقد كان موقف الامبرطور متأثرا بالأحداث السياسية الخارجية، فهو كان يخشى من وقوع انقسام سياسي نتيجة للانقسام الديني، وإزاء الاضطرابات السياسية وانقلاب الامبرطور شارل على البابا بسبب تآمره عليه، حتى انه ألغى السيادة البابوية إلغاءا كاملا، كما وجد الأشياء الخارجية تهدده، فالأتراك العثمانيون أصبحوا على مقربة من المجر، بالإضافة إلى انضمام البابا "كلمنت"Le pape climante إلى "حلف كونداياك" L'vnion Condiaque المعادي للامبرطور، لذلك اصدر المجمع الذي انعقد في مدينة "سبير"spire سنة 1526م، مما أدى إلى اعتراف الامبرطور رسميا بمركز اللوثريين في ألمانيا.

إلا انه في "مجمع سبير الثاني" سنة 1529م، ألغى قرارات المجلس الأول، والعودة إلى قرارات "ورمس" التي تعتبر لوثر هرطقيا[1].

إذن؛ يتضح أن الامبرطور شارل، اصدر في المجلس الأول قرارات تساند الحركة الإصلاحية، بغية تحقيق التفاف حوله ومساندته للخروج من ذلك الضيق الذي كان يتخبط فيه، إلا انه بعد تحقيقه لانتصارات على الدولة العثمانية، قام بالتراجع حيث نلاحظ في خطابه الذي

2 كوينتن سكنر، **أسس الفكر السياسي الحديث عصر الإصلاح الديني**، تر: حيدر حاج إسماعيل، (ط1؛ بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012)، ج2، ص322.

ألقاه في المجلس الثاني، نبرة تهديد ووعيد وانطوى على استبداد جديد، حيث انتقد التغيرات التي طرأت على المسيحية.

كانت القرارات التي أعلنها الامبرطور ضربة قاسمة للو ثريين، فما كان عليهم إلا أن يحتجوا على هذه القرارات فأطلق عليهم "البروتستانت" protestants*.

ولحل الخلافات الدينية دعا "شارل الخامس" إلى عقد مجلس في "اوجزبرج" ، والذي شرحت فيه المبادئ اللوثرية، فقد اصدر في هذا المجلس قراره بإعطاء فترة من الوقت للبروتستانت حتى يعودوا للعقيدة الصحيحة أو قتلهم.

فقد أدت هذه الأحداث إلى دخول حركة الإصلاح الديني في مرحلة جديدة تجلت في الصراع المسلح بين المعسكرين البروتستانتي والكاثوليكي، فالامبرطور أصبح مهددا من الأتراك العثمانيين والفرنسيين والانقسامات الداخلية[1].

هذا ما جعل الامبرطور يعقد مجلسا في "نورمبرج" سنة 1533م لتجاوز هذه الخلافات الداخلية، ودخول عهد جديد من السلام بين البروتستانت والكاثوليك والتكافل معا لحماية الامبرطورية.

- **انتشار اللوثرية:**

تعتبر البروتستانتية أو كما يسميها البعض اللوثرية، رؤية جديدة عن المسيحية والتي قدمت صورة مبسطة عن الله والإنسان، فالدين فيها أمر شخصي، والثقة المطلقة بمحبة الله هي أساس العقيدة، لأن الإيمان بهذه المحبة يحرر الإنسان من الخوف من ذلك العقاب المنتظر في الآخرة

* **البروتستانتية:** هي العقيدة التي أتى بها المصلح الألماني مارتن لوثر، وتسمى كنيستهم أيضا بالإنجيلية، ويقصد بهذه التسمية أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى، فلكل قادر الحق في فهمه وجميعهم متساوون أمام هذا الكتاب، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفا على رجال الكنيسة. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: احمد شلبي، **مقارنة الأديان**، مرجع سابق، ص242.

[1] عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى** ، مرجع سابق، ص129.

بسبب تلك الخطيئة التي ارتكبها ادم مع بداية الخليقة[1]. حيث أدت هذه الأفكار إلى إعادة ثقة الإنسان بنفسه، والى تحطيم تلك القيود التي كبلته بها الكنيسة وبالتالي بناء رؤية جديدة عن الحياة .

قبلت بعض المدن الألمانية بالنظام الجديد في حين بقي البعض الأخر مخلصا للنظام القديم، حيث انتشر المذهب البروتستانتي في كل من "أوجزبرغ" Oudjsbourg و "هامبرج" Hambredj و"هان فورد" Han forte و"فرانكفورت" Frankfort ثم "بادن"، مما ساعد على زيادة وتضخم المذهب البروتستانتي أمام الكاثوليكي.

كما انتشرت أيضا في كل من السويد والدنمارك التي اعتنقت المذهب اللوثري بغية الحصول على أراضي الكنيسة الكاثوليكية فيها[2].

ب) جان كالفن والكالفنية:

بعد أن رأينا الحركة اللوثرية في ألمانيا، وما خلفته من أثار في شتى الميادين، والتي انتشرت في أقطار متعددة، حتى ذاع صيتها في فرنسا حيث ظهر هناك جان كالفن **Calvin jean** * الذي رفع لواء الإصلاح الديني.

---

[1] محمد كامل ظاهر، **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، (ط1؛ بيروت: دار البيروني، 1994)، ص19.

[2] عبد العزيز نوار، محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، مرجع سابق، ص129 .

* **جون كالفن:**ولد سنة 1509م في نوا يون بفرنسا، ومات في جنيف سنة 1564م، أراد أهله أن يدخل السلك الكهنوتي حيث أرسلوه لما بلغ من العمر الرابعة عشر(14م) من العمر إلى باريس للدراسة، كما اتصل بالأوساط الإنسية في العاصمة الفرنسية، وقد عزف عن اللاهوت مما دفعه لتوجه إلى "اورليان" ليدرس القانون بناءا على رغبة أبيه، نشر أول مؤلفاته وهو عبارة عن شرح لكتاب سنيكا في التسامح، كما بدا كالفن أيضا في دراسة اليونانية بمساعدة صديقه "ملشوت" ولمار melchior wolmar، وربما دراسته لليونانية هي التي جعلته يرى زيف تأويلات الكنيسة، في حين أيقظت فيه دراسة القانون روح التحرر من ظلم الكنيسة، كما حرر أيضا في"اورليان" رسالته في نوم النفوس وهاجم فيها بعض القائلين بتجديد العماد، وفي سنة 1535 أقام بعض أسابيع في "بال"، أين استطاع أن ينجز كتابه باللاتينية تأسيس الديانة المسيحية الذي أصدره سنة 1536م، والذي عرض فيه فكر الإصلاح الديني الذي ترجمه فيما بعد إلى الفرنسية،خلال السنوات التي أقامها كالفن في "ستراسبورغ"، عمق معارفه اللاهوتية، كما عين أستاذا في المدرسة العليا، أين علم فيها إنجيل يوحنا ورسائل بولس، وفي سنة 1539م اصدر الشروح على رسالة بولس لأهل رومية، والتي كانت بمثابة فاتحة باهرة لسلسلة طويلة من التصانيف، وفي سنة 1541م صدرت له مقالة صغيرة في العشاء السري ، كما حرر أيضا في سنة 1542م الدفاع عن مذهب جبرية الاختيار، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة 1564م ، تاركا وراءه نتاجا فكريا راح تأثيره إلى ما

- **الثورة الكالفنية:**

يبدوا أن تأييد كالفن لعميد جامعة باريس "نيكولاس كوب"، في خطاب له يتعلق بالإعلان عن الفلسفة المسيحية، كان قد دفعه إلى الخوف من التعرض إلى الاضطهاد فهرب إلى بال بسويسرة، وهناك أحاطت به حلقة من الإنسانيين المثقفين، وهكذا تكون قد نشأت البداية الأولى للإصلاح الديني[1].

وفي عام 1534م ظهرت لوحات إعلانية على الجدران في أماكن مختلفة من باريس، بل وحتى على باب الملك تتضمن تنديدا عنيفا بالقداس، "فرانسوا الأول" بقسوة ضدها واعتبر هذا الفعل جريمة ماسة بجلالته، فتمت الاعتقالات وأقيمت المعارك، وكان من جملة الضحايا صديق لكالفن، حيث أن هذا الفعل أثر في نفسية كالفن[2]، حيث كان هذا الحدث هو الحافز الذي دفعه لنشر كتابه "المؤسسة المسيحية"، والذي يعتبر بمثابة إيمان جديد، حيث نشره بطبعات متعددة والتي كتبها باللاتينية وترجمها إلى الفرنسية سنة 1541م فأصبح هذا الكتاب الثاني في التداول بعد الإنجيل واكبر مؤثر على حركة الإصلاح الديني في فرنسا.

- **مبادئ الكالفنية:**

رفض كالفن والإنجيليون سلطة الكنيسة، بحيث يرى إن تلك السلطة التي فرضتها على العباد والقول بعصمتها من الخطأ هي بدية كل المشاكل، حيث أن كالفن يرفض كل تلك الطقوس الوثنية التي تقر بها الكنيسة، لذلك فهو يرى بضرورة الرجوع إلى الكتاب المقدس، والاعتماد الكلي عليه لا على رجال الدين، باعتباره هو الملجأ الوحيد الذي يستخلص منه جمهور المسيحيين عقيدتهم دون سواه، وان ينصاع البابا لأحكام الكتاب المقدس لا العكس، فكالفن هنا

وراء الحاضرة الجينيفية. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى:جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق ص ص (508، 510).

[1] عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، مرجع سابق، ص138.

[2] المرجع نفسه، ص138.
عباس نعمة، **الإصلاح الديني في فرنسا**، مرجع سابق، ص ص (186،187).

لا يعطي اهتماما للكنيسة، وكذا شفاعة القديسين، كما يرفض أيضا التقليد ألرسولي ووساطة البابا بين الإنسان والله لأنه مخالف لنص الكتاب المقدس.

كما يرى كالفن أيضا بوجوب الاعتقاد بان التبرير يكون بالإيمان وليس بالأعمال، فالكتاب المقدس يحتوي على جميع العقائد المسيحية ولا حاجة لمصادر أخرى لتبرير الإيمان. ومن أرائه أيضا، إقراره بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وان كل أعمال الإنسان وأفعاله مقدرة قبل ولادته.

و يقر كالفن أيضا بوجوب فصل الكنيسة عن سلطة الدولة؛ أي السلطة الروحية عن السلطة الزمنية، فالكنيسة عنده ما هي إلا سلطة روحية عامة، لا تستأثر بها فئة دون أخرى، فهي إذن حق مشاع لكل المسيحيين سوءا كانوا علمانيين أو رجال دين، واقتصر على رجال الدين وضيفة الوعظ والإرشاد[1].

لم يحدد كالفن نوع الحكومة العلمانية المطلوبة سوءا أكانت ملكية أو استبدادية أو جمهورية مادامت تضمن لنا العيش بين الناس، وان نشجع ونساند العبادة الخارجية لله بالدفاع عن المذهب الخالص ومركز الكنيسة، وان نحقق التجانس بين بعضنا البعض، وان نحافظ على السلام المشترك والسكينة المشتركة[2].

من هنا يتضح أن أراء كالفن تؤكد على واجب الطاعة العمياء للحاكم، باعتبار أن مرتبة الحاكم هي اشرف المراتب وان مقاومته هي مقاومة لله، وهذه هي نقطة الاتفاق بين كالفن ولوثر.

---

[1] عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، مرجع سابق، ص139.

[2] إمام عبد الفتاح، **الطاغية**، (د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1994)، ص146.

- **موقف الملك هنري الثاني من حركة الإصلاح الديني الكالفيني:**

تولى "هنري الثاني" henri2 (1519-1559) الحكم في فرنسا بعد وفاة والده "فرانسوا الأول" سنة 1547م، وكانت أهم القضايا التي واجهته النزاع ضد الامبرطورية واتساع حركة الإصلاح الديني، فقد تميز بشدته على الخارجين على الكنيسة الكاثوليكية، فقد شكل محكمة خاصة سميت بقاعة الحرق "Burning chamber" والتي تم فيها محاكمة 323 شخصا احرق منهم 38 شخص، وعندما لاحظ فشل الإجراءات التي اتخذها ضد الهراطقة طلب من المحاكم المدنية والدينية التصدي لهم، وعد بيع أو حيازة كتاب يدعوا للهرطقة جريمة يعاقب عليها بالإعدام، ومراقبة جميع الكتب الداخلة من الحدود الفرنسية[1].

لكن رغم كل هذه الإجراءات التي اتبعتها السلطات الدينية والمدنية للحد من انتشار حركة الإصلاح الديني أبت بالفشل، حيث استمرت الحركة في استقطاب الناس وازدياد عدد كنائسها.

في سنة 1557م اصدر الملك "هنري الثاني" مرسوم" كوميس" Koumis الذي نص فيه على تطبيق عقوبة الإعدام على كل من يثبت ارتداده على العقيدة الكاثوليكية، أو ينشر كتابا في جنيف أو يلتقي بدعاة الإصلاح، وقد تمت الموافقة على هذا المرسوم من قبل البرلمان في نفس السنة، وما فجر الخلاف الطائفي هو إقدام مجموعة من الكاثوليك على مهاجمة أنصار الإصلاح، وقد استمر تصدي هنري لقادة الإصلاح الديني ومحاولة ردعهم من خلال تلك المجالس والقرارات التي يصدرها بحقهم.

لقد بالغ "هنري الثاني" في تلك الإجراءات التي اتخذها بشأن الإصلاحيين ومحاولته إستئصال هذه الحركة من الجذور، من خلال إنزال اشد العقوبات على كل من يشك في هرطقته، هذا ما دفع ببعض أعضاء البرلمان إلى نبذ هذه التصرفات، مما دفع بهنري إلى دعوة المجلس البرلماني لتأييد إجراءاته، كان ذلك سنة 1559م ففي هذا المجلس سجل رفض العضو

[1] يونس عباس نعمة، **الإصلاح الديني في فرنسا**، مرجع سابق، ص 91.

"اندي بورج" Anne de Bourg لتلك الإجراءات المتبعة ضد الحركة الإصلاحية حيث قال: «الجميع يلاحظ مختلف الجرائم والانتهاكات التي تخالف تعاليم الرب في هذه البلاد ولا احد يطالب بمعاقبتهم، فيما يحرق آخرون في الشوارع وتصادر أموالهم ليس لذنب، سوى لأنهم التمسوا طريقا جديدا اعتقدوا بصدق نية انه يوصلهم إلى خالقهم، وليس من حق احد أن يعاقب الذين امنوا بالسيد المسيح واتخذوا الطريق إلى الله»، فكانت عقوبة هذا الأخير هي الحرق[1].

- **انتشار الكالفنية:**

رغم الإضطهاد الذي لآقته البروتستانتية و الكالفنية أثناء عهد "هنري الثاني"، إلا أنها حققت نجاحا بين مختلف طبقات المجتمع وانتشرت في مناطق مختلفة دون تمييز.

لقد انتشرت الكالفينية أكثر من اللوثرية، لأن كالفن وضع المبادئ الدينية بأسلوب ارتاح له رجال الطبقة الوسطى ورجال البنوك، عندما وافق بشكل صريح على تعاطي الربا خلافا لما كان شائعا من تحريمها واستنكارها، فأصبحت الكالفنية مذهب الطبقة الوسطى. وهكذا انتشرت الكالفنية في هنغاريا واعتنقها الفرنسيون المعرفون" بالهوجونوت".[2]

[1] المرجع نفسه، ص192.
[2] أكرم عبد علي، **تاريخ أوربا الحديث**، مرجع سابق، ص43.

المبحث الثالث: امتداد حركة الإصلاح الديني في أوربا "انجلترا نموذجا".

تعتبر حركة إدخال الإصلاح الديني إلى انجلترا أهم ظاهرة حدثت في عهد الملك "هنري الثامن" Henri 08، فقد بدأت هذه الحركة في انجلترا سياسية للولهة الأولى، إلا أنها انقلبت فيما بعد إلى الحركة الدينية.

هنري الثامن:

لعل أهم ما غير نظرة هنري وتحوله إلى مصلح ديني، –بعد أن كان من اشد المعارضين للحركة اللوثرية ويتجلى ذلك في كتابته لتلك الرسالة التي ضمنها أرائه التي عارضت المذهب اللوثري– هو رغبته في تحقيق الطلاق من كاترين التي أنجب منها ابنته "ماري"، لكن هنري أراد أن يكون له ابن يرث الحكم من بعده، هذا ما دفعه إلى أمر "ولزي" بالسعي لإقناع البابا بالموافقة على تطليقه لكاترين إلا أن "ولزي" فشل في مسعاه هذا ما أدى إلى طرده من قبل الامبرطور والاستيلاء على ممتلكاته[1].

ونظرا لرفض البابا للإنصياع لأوامر الملك والمتمثل في إعلان الطلاق من "كاترين"، أدى إلى ضغط الملك على البرلمان بقطع بعض واردات البابا من الانجليز، ورغم كل هذه الضغوط إلا أنها لم تجدي نفعا مع البابا ولم تساهم في السماح له بالطلاق، هذا ما دفع بهنري إلى الزواج سرا، وقد أعلن البرلمان بعد هذا أن زواجه من كاترين غير شرعي.

وبالرغم من تمسك هنري بالعقيدة الكاثوليكية، إلا أن هذا كان لا يقل أهمية عن الجرأة الثورية التي دفعته إلى تحدي البابا والامبرطور، ولعل نجاح الإصلاح البروتستانتي في انجلترا راجع إلى انه تم في مراحل جانبية، ولأن التعديل الأول قدم للناس باعتباره عودة إلى

[1] جفري براون، **تاريخ اوربا الحديث**، تر: علي المزروقي، (ط 1؛ لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006)، ص195.

الأيام الحوالي حين كان الملوك حقا هم سادة الكنيسة الانجليزية، وفي هذا أيضا أبدى هنري روح الدهاء المعروفة، إذ لاشئ يقنع الانجليز بقبول تغيير أساسي من الاعتقاد بأن مثل هذا التغيير يتماشى في الواقع ونزعة المحافظين.

ذكرنا سابقا أنه من أهم الأسباب التي دفعت إلى الإصلاح هي محاولة هنري الطلاق من كاترين، فهذه المسالة هي التي جعلت الخلاف يتفاقم بين هنري والكنيسة البابوية، هذا ما جعل الملك يعين "توماس كرمويل" الذي كان يعمل تحت رئاسة "ولزي"Wolsse، حيث أن "كرمويل" كان يعتنق مذهب الغاية تبرر الوسيلة، إذ أشار هذا الأخير على الملك بالانفصال عن كنيسة روما، وجعل الكنيسة الانجليزية تحت سيادة الملك وان يحذو في ذلك حذوا أمراء الألمان، بحيث اقتنع الملك بهذا الحل واعتبر نفسه زعيما من زعماء الإصلاح الديني.

من أهم الأعمال التي أقدم عليها هنري بعد أن أصبح رئيس الكنيسة الأعلى، هي إلى إلغاء الأديرة الغنية، و مقاومة رجال الدين لسياسته اتجاه البابا واتجاه مطالبته برئاسة الكنيسة، كما اتهم الرهبان بسوء السلوك، بعد أن أرسل بعض رجاله لتفتيش حالة الأديرة، أمر بالاستيلاء على كل ما فيها[1].

فيما سبق قلنا أن "كرمويل" Kram will اقترح على الملك أن يحذو حذوا الألمان، الذي اعتبر لوثر المدافع عن الإيمان لم يشأ أن يرى العقيدة تتحطم، لذلك أراد أن يصبح شعبه كاثوليكيا في ضل سلطة هنري، وليس تحت إمرة البابا.

كان هنري قد عقد العزم على أن يتقدم لشغل مكان البابا في الكنيسة الانجليزية، وعلى أن يصف لشعبه ما يجب أن يؤمنوا به معتمدا في ذلك على أقصى العقوبات التي يستطيع

[1] المرجع نفسه، ص(196،195).

برلمان أن يبدعها، فالملك هو الذي كان قد وضع في عام 1536م أول مجموعة من الطقوس الدينية لكنيسة انجلترا وعنوانها هو "المواد التي وضعها سمو الملك لإقرار السلام المسيحي".[1]

وفي سنة 1539م أقدم الملك هنري على إقرار قانون من ست مواد(06) في البرلمان"السوط الدموي ذي الشعب الست"، حيث تنص المادة الثالثة على أن القساوسة بعد ترسيمهم، طبقا لما هو مشاع آنفا لا يمكنهم التزوج إلزاما بشريعة الرب، وأعيد نظام الاعتراف السري، كما أكد مذهب هنري من جديد على العشاء الرباني[2].

ورغم ميل "كرمويل" إلى إقامة ائتلاف ديني وسياسي مع الدول البروتستانتية في ألمانيا، إلا أن انجلترا لم تقبل الانجراف في خضم العام الذي أثارته البحوث الألمانية اللاهوتية.

فالملك هنري إذن؛ لم يرد السير في مسار الإصلاح الديني البروتستانتي الألماني، وإنما كان يصبوا إلى تشريع فقه ديني انجليزي يكون من إصداره.

وفي سنة 1545م أمر هنري بإجراء مراجعة عامة لكتب الصلاة، واقر تراتيل الصلوات العامة، كما وضع الإنجيل المترجم في الكنائس بأمر ملكي وذلك لجعله في متناول الجميع، إلا انه وبالرغم من كل الإصلاحات التي قام بها هنري إلا انه لم يتضح موقفه جليا فأحيانا نجده من اشد المضطهدين للوثريين من خلال حرقه للهراطقة، وكذا شنقه للكاثوليك لخيانتهم، فإذن هنري نجده قد تجاوز كل من الكاثوليكية والبروتستانتية إلى الكنيسة الانجليزية أو الانجلكانية التي وضع هو مبادئها.

[1] هربرت فيشر، **أصول الفكر الغربي الحديث**، مرجع سابق، ص121.
[2] كرين برينتون، **تشكيل العقل الحديث**، مرجع سابق، ص(100، 101).

إن ثورة البابا في انجلترا بدأت بها الحكومة، أيام كان معظم الشعب متمسك بالتقاليد الكاثوليكية، ولكن كان عدد البروتستانت الداعين إلى التغيير الذي حدث في زمن هنري، والمطالبين بالهجوم العنيف على البابا والكنيسة في ازدياد مستمر.

وبعد أن اعتلى الملك "ادوارد السادس" Edward، حدثت تغييرات جذرية في العقيدة الانجليزية، ولأن ادوارد اعتلى العرش وهو في سن العاشرة مما خول لخاله "ارل هتفورد" Arl hatford الوصايا عليه، هذا الأخير الذي كان على المذهب البروتستانتي مما دفعه إلى إلغاء كل القوانين التي اضطهدت البروتستانتية، كما أغلق العديد من الكنائس الكاثوليكية وحول دخلها إلى خزينة الملك[1].

ففي عهده قطعت حركة الإصلاح الديني شوطا كبيرا من خلال إصدار كتاب الصلوات العامة باللغة الانجليزية، وهو الكتاب الذي طبع الكنيسة البروتستانتية بطابع قومي وجعل الفردية وحرية الاعتقاد أساسا للبروتستانتية الانجليزية.

إذن؛ بعد أن اعتنق عدد كبير من أفراد الشعب الانجليزي لمذهب "مارتن لوثر" الإصلاحي والداعي إلى حرية الفكر والعقيدة، وخلصوا إلى أن للشعب الانجليزي حقوقا يجب آن تصان.

إن انتشار المذهب اللوثري في انجلترا أدى إلى استياء الملكة "ماري تيور" وشاطرها الرأي زوجها "فليب والكاردينال بول" سفير البابا، وفتحت محاكم التفتيش في انجلترا أبوابها، إلا أن تلك السجون لم تستطع منع سالكي دروب الحرية من ولوجها، فقد صبر الانجليز على المكاره من اجل حريتهم، وكان كلما أحرقت محاكم التفتيش ثائرا خلفه ألف ثائر له.

[1] جفري براون، **تاريخ أوربا الحديث**، المرجع نفسه، ص195.

إلا انه بعد اعتلاء الملكة "الزابيث الأولى" Ilisabette (1558-1603م) العرش منعت الحرق وأباحت الحريات ضمن حدود لا تمس عرشها.

ولقد استطاعت "اليزابيث" أن تطبع انجلترا بالطابع البروتستانتي، بالرغم من أنها لم تتعمق في دراسة أي من المذهبين، ولم تستهوها العواطف الدينية، لذلك نجدها لم تتسرع في قطع علاقاتها مع كنيسة روما، حيث اتبعت سياسة الحل الوسط ، معتمدة في ذلك على البرلمان، باتخاذه أداة لتنفيذ هذه السياسة التي انتهت إلى تدعيم الكنيسة الأنجليكانية.

الفصل الثالث : نتائج حركة الإصلاح الديني

- المبحث الأول: على الصعيد الديني
- المبحث الثاني: على الصعيد السياسي
- المبحث الثالث: نقد وتقييم

المبحث الأول: على الصعيد الديني:

لقد كانت الكنيسة هي المسيطرة على مختلف مجالات الحياة، إلا أن هذه المفاهيم تغيرت مع ظهور الحركة الإصلاحية وترسخت، جذورها من خلال تلك النتائج التي ترتبت عنها، فبالرغم من ذلك النضال الذي دام لقرون طويلة، وتلك الحروب التي أهدرت الكثير من الدماء إلا أنها أخرجت أوربا من ذلك الطغيان والاستبداد الديني.

فقد قام المصلحون بتهذيب الديانة المسيحية وتيسيرها، بحيث لم يعد الكتاب المقدس حكرا على رجال الدين، كما كان لحركة الإصلاح تأثير كبير في كسر هيمنة المنظومة الدينية السائدة، بما في ذلك خلفياتها السياسية والأخلاقية في تحرير المجتمع من التسليم تسليما مطلقا بالمرجعية البابوية، والقضاء على الفساد الكنسي وإرجاع الديانة المسيحية إلى صفائها ونقائها الأول.

كما ساهمت أيضا في تجاوز التعصب الديني الذي كان سائدا آنذاك، ولهذا تنامت الدعوة إلى التسامح في العصر الحديث، على إثر ما شاهدته أوربا خلال القرنين السادس عشر(16م) والسابع عشر(17م)، من اشتداد لموجة التعصب الديني العدواني، وما رافقه من لا تسامح وحروب دينية بين البروتستانتية والكاثوليكية.

وبعد أن كانت الكنيسة الكاثوليكية، هي الهيئة الوحيدة المسيرة لشؤون الشعوب، إلا انه بظهور البروتستانتية فقدت زعامتها، هذا ما دفعها إلى الدخول في حروب مع المعسكر البروتستانتي، ومن أشهرها حرب الثلاثين عاما في انجلترا (1618-1647)، التي توصل

فيها الطرفين إلى عقد صلح "وستفاليا".*

ونظرا إلى أن البروتستانتية لم تكن عقيدة عالمية، فقد كانت تحتاج إلى حماية السياسيين من رؤساء الدول الذين كانوا يأملون في أن يصبحوا رؤساء لكنائسهم القومية أيضا، وكانت تلك نعمة في ثوب نقمة، إذ أن رجال الكنيسة البروتستانتية الذين كانوا يفتقرون إلى سلطة نظرائهم الرومان الكاثوليك، وإن لم يكونوا يقلون عنهم تعصبا وتزمتا، وعند إدراك الناس في النهاية أن تلك المنازعات الدينية عقيمة وغير حاسمة مادام كلا الطرفين عاجزا عن القضاء على الأخر، هذا ما جعل المعسكرين يتوصلان في النهاية إلى الصلح[1].

من هنا يتضح أن الأمراء انتهزوا فرصة للإنشقاق عن الكنيسة الرومانية، والحصول على رئاسة كنائسهم القومية، فكانت هذه المحاولات هي اللبنة الأولى لطرح مسألة التعددية الدينية وما رافقه من حرية وتسامح بين مختلف الطوائف المسيحية.

صلح "وستفاليا" إذن؛ كان وثيقة سارت عليها العلاقات الدولية في أوربا حتى الثورة الفرنسية، والذي اقر فيه حرية اختيار الأمراء للمذهب الذي يسري في إمارتهم وأن يشمل التسامح الديني الكالفنية مثلما شمل اللوثرية، فهذه الوثيقة رسخت مبدأ حرية المعتقد والتسامح بين مختلف الطوائف.

إذن؛ اقترن موضوع التسامح في زمن الإصلاح الديني بالحرية الدينية، في زمن تميز بالإنقسامات المسيحية الحادة، وطرحت فيه مسالة التعددية الدينية.

* **معاهدة وستفاليا:** هي المعاهدة التي وضعت خاتمة لحرب الثلاثين عام، التي دارت بين البلدان البروتستانتية والكاثوليكية، وكان توقيعها في 24 أكتوبر 1647م، حيث اعترفت بوجود ثلاث طوائف في الامبرطورية الجرمانية المقدسة، وهي الكاثوليكيين والكالفنيين واللوثريين، وإعطاء الملوك حق فرض دينهم على رعاياهم، وبالتالي إقرار مبدأ سيادة الدولة القومية كأساس للقانون الدولي، وفي هذا المؤتمر أقرت اللغة الفرنسية كلغة رسمية في التعاملات الدبلوماسية في عموم أوربا بدل اللغة اللاتينية. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، مرجع سابق، ص (155،156) .

[1] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، مرجع سابق، ج2، ص34 .

كما نجد أيضا الفيلسوف الفرنسي "فولتير" Voltair (1694-1774م)* الذي تناول هو الأخر مسالة التسامح بين الطوائف المسيحية في كتابه رسالة في التسامح، حيث يقول:«إن العنف المسعور الذي يدفع إليه العقل اللاهوتي المغلق، والغلو في الدين المسيحي المسيء فهمه قد تسبب في سفك الدماء، وفي إنزال الكوارث بألمانيا، وانجلترا وحتى في هولندا، بقدر لا يقل عما حدث في فرنسا، فإن تباين الأديان ما عاد اليوم يؤدي إلى حدوث اضطرابات وقلاقل في تلك الأقطار، فاليهودي والكاثوليكي والأرثوذكسي واللوثري والكالفني، وداعي تجديد المعمودية** والسوسيني والمينوني وسائرهم، غدوا يعيشون بتآخ في تلك الأقطار ويساهمون على قدم من المساواة في خدمة مجتمعهم»[1]. من خلال هذا يظهر أن ذلك التعصب*** والتزمت الديني ساهم في إحداث الاضطرابات، إلا انه بظهور التسامح لم تعد هناك مشاكل متعلقة بالمعتقدات أو بالأحرى الديانات.

وما عاد الناس يتخوفون من أن تؤدى المناظرات بين الكالفنيين، والانجليكانيين حول طقس من الطقوس الدينية، أو لباس القس ساعة الصلاة إلى سفك دم ملك على منصة

* فولتير: اسمه "فرانسو ماري أرويه"، ولد في باريس في 24 نوفمبر1694، فيلسوف وكاتب فرنسي كتب ملحمة شعرية عن هنري الرابع ، لكن السلطات رفضت الإذن بنشرها لأن فيها تمجيد للبروتستانت، وللتسامح الديني، لكن قام بطبعها سرا، تحت عنوان "العصابة" أو هنري الكبير، نشرت في سنة 1756. ومن مؤلفاته أيضا: أخلاق الأمم وروحها، والقاموس الفلسفي. قام فولتير بالدفاع عن ضحايا التعصب الديني في فرنسا، وهي لهم ملجأ في ضيعة في فرنيه، توفي في 30 ماي 1778 في باريس. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، (ط1؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984)، ج2، ص271.

** **تجديد المعمودية:** قد نشأت هذه الحركة بسكسونيا سنة 1521م، وقد روجت هذه المجموعة إلى أن التعميد الذي يقوم على تغطيس الطفل لا يتوافق مع ما جاء في الكتاب المقدس، فالغرض منه هو إزالة الخطايا، في حين أن الأطفال يولدون بلا ذنوب، وإنما الأجدى هو أن يتم تعميد البالغين، وقد ناد هؤلاء إلى التسامح بين المسيحيين. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، مرجع سابق، ص125.

[1] فولتير، **رسالة في التسامح**، تر: هنرييت عبودي، (ط1؛ سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009)،ص31.

*** **التعصب:** هو غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ، بحيث لا يدع مكان للتسامح وهو ضرب من الحماسة الشديدة التي قد تؤدي إلى العنف والإستماتة، وهو بهذا الحال صفة غير سوية على مستوى الفرد والجماعة ويصاحبها ضيق أفق وبعد عن التعقل. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: ابرهيم مدكور، **معجم الفلسفة**، مرجع سابق، ص49.

الإعدام، أما ايرلندا التي أعتقت وتضاعف عدد سكانها ما عادت ترى مواطنيها الكثالكة يذبحون باسم الرب[1].

إذن؛ بظهور التسامح الديني تبددت كل تلك الخلافات العقائدية، وحلت محلها الحرية والتعايش والائتلاف بين مختلف الطوائف المسيحية، ولم يترك مجال لتلك الممارسات الاستبدادية التي كانت تمارس سابقا.

كما يرى "جون لوك" أيضا أن «التسامح بين أولئك الذين يعتقدون عقائد مختلفة في أمور الدين يتسق تماما مع العهد الجديد الذي أتى به السيد المسيح، كما يتماشى مع مقتضيات العقل الإنساني الحر، حتى انه لأمر غريب عند الناس أن يكون المرء أعمى لدرجة لا يرى فيها ضرورة التسامح ومزاياه»[2]. من خلال قول "لوك" يتضح أنه كان يدعوا إلى التسامح وينبذ التعصب، ويرى أن الكتاب المقدس يحمل في طياته دعوة للتسامح واستخدام العقل، وينتقد العامة لعدم ولوجهم إلى التسامح.

كما أسفرت الحركة الإصلاحية، إلى ظهور ما يسمى بالعلمانية من خلال دعوات المصلحين إلى فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية، فالدولة لم يكن باستطاعتها الانفصال عن الكنيسة دون وضع مبادئ جديدة تضبط بها العلاقات الاجتماعية، وتنظم شؤون الناس بعيدا عن المؤثرات اللاهوتية، إلا انه بفضل الإصلاح ظهرت التشريعات المدنية، وانتزعت المؤسسات العامة من أيدي الاكليروس.

وعندما جاءت الثورة الفرنسية، هدمت ذلك الصرح التعليمي المتين الذي شيدته الكنيسة عبر العصور، وجعلته من مهمات الحكم المدني وأجهزته العلمانية، وبذلك استطاعت الدولة أن تجرد الكنيسة من أهم أسلحتها، وأخذت تشجع الحركة العلمية والاختراعات، ضمن مشروع

[1] المصدر نفسه، ص ص(31،33)

[2] جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنه، تقديم ومراجعة، مراد وهبه، (ط 1؛ الإسكندرية: المجلس الأعلى للثقافة، 1997)، ص23.

تعليمي و تربوي مدني حديث يستوحي مصالح الإنسان الدنيوية وطموحاته المستقبلية بعيدا عن أية مؤثرات دينية أو لاهوتية[1]. فكما ذكرنا أنفا أن العلمانية هي من أهم إفرازات الحركة الإصلاحية، من خلال تلك الثورات التي ترتبت عن هذه الأخيرة، التي جردت الدولة من كل الأمور الدينية وبالتالي الفصل التام بين ما هو ديني وما هو دنيوي.

فالعلمانية* إذن؛ اتخذت معنى شاملا يدل على تحرر جميع الناس، من القيود الروحية وخضوعهم مباشرة لسلطان العقل الحر، فأصبحت ترمز إلى غياب المثل الدينية والروحية في كل شكل من أشكال الثقافة الإنسانية، وبذلك أصبحت العلمانية من أهم ركائز الفكر الغربي الحديث.

المبحث الثاني:على الصعيد السياسي:

بعد تلك التغييرات التي أحدثتها الحركة الإصلاحية على الصعيد الديني، كان لابد أن يمتد أثرها لتشمل الجانب السياسي أيضا، بحيث تمكنت هذه الحركة من القضاء على تلك الرؤى القديمة من خلال فصل كل ما هو ديني على ما هو دنيوي، حيث أصبح بوسعنا الكلام عن حكومات ودول مستقلة استقلالا كليا عن السلطات الدينية، وبالتالي إضعاف سلطة البابا الذي كان يتحكم في زمام الأمور، ورجعت السلطة إلى أيدي الأمراء والملوك و الأباطرة.

[1] محمد كامل ظاهر، **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، (ط1؛ بيروت: دار البيروني، 1994)، ص35.

* **العلمانية:** مصطلح يعني بعد الدولة واستقلالها عن العقيدة، ولا تقوم وفقا للمبادئ الدينية، لأن الدولة مخلوق إنساني خلقته الأغراض الإنسانية وهي التي تعمل على استمراره، وفي اللاتينية يعني المصطلح العالم أو الدنيا، واستخدم المصطلح من قبل مفكري عصر التنوير، بمعنى المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة، فالعلمانية ببساطة هي فصل الدين عن الدولة. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، مرجع سابق، ص301.

قبل حديثنا عن فلسفة "بودان" سياسية، لابد من العودة إلى "نيقولا ميكافيلي" Niccolo Machiavelli (1469-1527م)* في نقده للكنيسة والدين، حيث يتضح موقفه من الدين في كتابه الأمير موقفا مؤيدا، فهو يرفض المساس بقدسيته، حيث يقول في كتابه الأمير بأن الإمارات الكنسية هي « الإمارات الوحيدة الآمنة والسعيدة، ولكن لأنها محكومة بالقيم العالية التي لا يستطيع البشر إدراكها، فإني سأمتنع عن الحديث عنها لأن الله هو من يحميها ويحافظ عليها فمن الحماقة والوقاحة أن نتحدث عنها»[1]. من خلال هذا النص نلاحظ أن "ميكافيلي" يولي أهمية كبيرة للدين المسيحي النقي، حيث يرى بأنه ضروري لتحقيق السعادة داخل المجتمعات، كما أنه هنا لا ينتقد الدين وإنما ينتقد ممارسات رجاله.

والذي يلاحظ على "ميكافيلي" انه نظر إلى وظيفة الدين في الدولة نظرة برجماتية** (عملية)، فليس من المهم عنده أن تكون العقيدة صحيحة أو خاطئة، مادامت تساعد على إضفاء قدر من التماسك الاجتماعي داخل الدولة، وبالطبع فإن اضطهاد المارقين أو أصحاب البدع، يصبح له ما يبرره تماما في ظل رأي كهذا[2]. لكنه بعد أن يبرر أهمية الدين بشكل برجماتي، فإنه يسمح بمعاقبة الخارجين عنه، الذين تسببوا في زعزعة الأمن، ليصل إلى الوضع السيئ الذي تعيشه إيطاليا، راداً السبب إلى الكنيسة ومعتقداتها وسلوك رجالها، فهو يحلل الوضع الذي آلت إليه الدول المسيحية، هو ابتعادها عن روح المسيحية، لكنه يرى

---

* **ميكافيلي:** ولد نيكولا ميكافيلي في فلورنسا، كان أسلافه من نبلاء تسوسكانيا، الذين بلغوا أعلى المناصب في جمهورية فلورنسا، وتدل كتاباته على أنه درس التراث اللاتيني دراسة متأنية لاسيما في التاريخ، كما أنه كان مفتونا "بدانتي"، اشتغل عدة مناصب سياسية، من أعماله نذكر: كتاب "الأمير"، وكتاب" مطارحات ميكافيلي"، وكتاب "أحاديث لتيتوس ليفينيوس" وهي أهم أعماله السياسية. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، مرجع سابق، ص (463،464).

[1] ميكافيلي، **الأمير**، تر: أكرم مؤمن، (د ط؛ القاهرة: مكتبة ابن سينا، 2004)، ص63.

** **المذهب البرغماتي**: (البرغماتية) أصل هذه الكلمة يوناني وقد اشتقت من براغما، براجما ومعناها العمل والبرغماتية في العصر الراهن مذهب أو منهج ويتلخص بأنه ينكر الواقع وحكم العقل، ويقيس الحق والصدق والخير والواجب بما يحقق للفرد أو الجماعة من ميول ورغبات فالشيء الواحد يكون حقا وخيرا بالنسبة إلى من ينتفع به وشرا وباطلا إذا تضرر منه آخر. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: محمد جواد مغنية، **مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات**، (د ط؛ بيروت: دار ومكتبة الهلال، دس ن)، ص140.

[2] برتراند راسل، **حكمة الغرب** ، ج2، مرجع سابق، ص26.

في كتابه المطارحات بأنه « لو احتفظ حكام الدولة المسيحية بالروح الدينية التي رسمها لنا مؤسس المسيحية، لكانت الدول النصرانية وجمهورياتها في وضع أكثر إتحادا وأكثر سعادة مما هي عليه الآن، ولو أراد أحد أن يخمن الأسباب التي أدت إلى تدهور هذه الروح الدينية، لما وجد خيرا من التطلع إلى تلك الشعوب التي تعيش على مقربة من كنيسة روما، وهي رأس ديانتنا إذ يرى أن الدين اضعف لديها منه عند غيرها من الشعوب البعيدة، ولو درس المرء ديانتنا كما كانت عليه عند ظهورها، ثم رأى مدى الخلاف الذي يقوم بينها وبين ما هو واقع اليوم، لتوصل حتما إلى النتيجة القائلة بأن ديانتنا تقترب إما من الدمار أو من الكارثة »[1].

في هذا النص نلمس حس نقدي واضح للكنيسة والبابوية في روما، رغم أن "ميكافيلي" لم يمارس نقدا منصبا على النصوص والتحريف الذي لحق بها، ولكنه نظر إلى جملة القيم التي دعا لها كما سماه هو مؤسس المسيحية وقارنه مع الوضع الحالي، خاصة بالنسبة لرجال الكنيسة فوجد المفارقة، رابطا كل هذا بالتوتر السياسي، خاصة وأنه لا أحد ينكر علاقة السياسة بالدين في العصر الوسيط، رادا كل أسباب الانحلال وما تبعها من كوارث إلى الكنيسة، بل أكثر من ذلك فنجد أن "ميكافيلي" يحملُ التمرد الديني والإلحاد لها أيضا.

أما الكنيسة فإنه يهاجمها لسببين، الأول هو أن أسلوب الحياة الغير الفاضل الذي يعيشه كثير من قساوستها قد زعزع الثقة الشعبية في الدين، والثاني هو أن الاهتمامات الدنيوية كانت عقبة في وجه الوحدة الايطالية.

من هنا نلاحظ أن "ميكافيلي"، حلل علاقة السلطة الدينية بالسياسية، وكيف أن تدخل رجال الدين في الحكم واهتمامهم بالمصالح الدنيوية على حساب المصالح الدينية، أدى إلى تمزق ايطاليا وإضعافها.

[1] ميكافيلي، **مطارحات ميكافيلي**، تر: خيري حماد، (ط 2؛ بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1979)، ص267.

فيما سبق، رأينا أن أوربا شهدت جملة من التطورات، أبرزها تلك الحروب الدينية التي غيرت مجرى التاريخ السياسي للفكر الغربي الأوربي، فقد نشطت العديد من الكتابات السياسية وظهر العديد من المفكرين السياسيين، ومن أشهر الكتاب في تلك الحقبة "جان بودان" Jean Bodin (1529–1596م)*، الذي ارجع تكوين الدولة إلى التكوين البشري الذي يتألف من جماعات متآلفة تحكم بواسطة القوى العظمى والعقل.

لقد حاول "بودان" أن يستعيد للسلطة مكانتها وقوتها، في زمن كان ابعد ما يكون عن ذلك التسامح، فقد كانت أوربا تعيش آنذاك في وسط عالم ممزق بالصراعات الدينية، حيث أن أقوى الدول لم تكن لتصمد وتحافظ على قوتها من جراء تلك الصراعات، وما رافقه من تعصب وتمزق للمجتمع.

ويعد "بودان" من أشهر القائلين بفلسفة القوة، حيث يرجع أصل قيام الدولة إلى القوة، «إن الجمهورية هي الحكم العادل المستقيم على اسر عديدة وعلى ما هو مشترك بينها، وسلطته كاملة السيادة»[1]. فهو يقر إذن؛ بأسبقية الأسرة على الدولة من خلال تأكيده على السلطة المطلقة لرب الأسرة، في فرضه لسيطرته الكاملة على أبنائه وممتلكاته، كذلك هو الحال بالنسبة للدولة التي تتحقق برأيه من تمكن رجل قوي في فرض سلطته على مجموعة من الأسر.

ويذهب المؤرخون لعلم السياسة إلى أن الإضافة الأصيلة في الفكر السياسي عند "بودان" هي ذلك الجزء الذي تحدث فيه عن السيادة، فالسيادة هي القوة العظمى المفروضة على

* **جون بودان:** فيلسوف فرنسي، ولد بفرنسا سنة 1530م، كان ينتمي إلى الطبقات المتوسطة ويدين بالمذهب البروتستانتي، درس القانون في جامعة "تولوز"، حيث أصبح فيلسوفا سياسيا وفقيها قانونيا، من أشهر فقهاء القانون بفرنسا، وتقلد عدة مناصب هامة، مما اكسبه خبرة علمية وشهرة واسعة، ومن أشهر مؤلفاته، كتاب "منهج الفهم الميسر للتاريخ"، وكتاب "الجمهورية". لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: فضل الله محمد إسماعيل و سعيد محمد عثمان، **نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي**، (د ط؛ الإسكندرية: مكتبة بستان المعرفة، 2006)، ص51.

[1] نقلا عن جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار**، تر: ناجي الدراوشة، (ط 1؛ دمشق: دار التكوين، 2010)، ج2، ص403.

المواطنين والرعايا ولا يحدها القانون[1]. بمعنى أن سلطة الملك هي سلطة مطلقة وأبدية على المواطنين والرعايا في الجمهورية، بحيث ينبغي أن تكون كذلك لأنها الوحيدة القادرة على سن القوانين أو خرقها.

فالسيادة إذن؛ هي غاية ووسيلة في فكر "بودان" السياسي، وهي قلب الدولة النابض وسر الحياة فيها، وهي السلطة المطلقة الدائمة في الدولة، وهي الخاصية التي تميز الدولة عن غيرها من التجمعات والتنظيمات البشرية الأخرى.

من هنا يتضح أن "السيادة" Souveraineté*، هي الركن الأساسي لقيام المجتمع البشري، وهي كذلك السمة الرئيسية التي تميزه عن سائر المجتمعات الأخرى، حيث رأى "بودان" أن المجتمعات التي لا تكون تحت سيادة شخص قوي فإن مآلها هو الانهيار.

ويشير أيضا إلى أن السيادة هي السلطة العليا التي لا يحدها قانون، ووظيفتها الأولى هي تطبيق القوانين على المواطنين والرعايا باستثناء الحاكمين، لأن الحكام هم منبع القانون، ولما كان الحكم الأمثل في حكم الفرد الواحد، فقد أثيرت تساؤلات حول تقيد الملك بالقانون أو عدم تقيده، إلا انه أشار إلى أن الملك لا يمكن أن يكون مقيدا بقانون وضعه هو.

فسلطة الملك إذن بحسب رأي "بودان" ليست مطلقة وإنما مقيدة بمعطيات القوانين الطبيعية والأخلاق، فهو لم يجز للملك أن يخالف القوانين الإلهية والطبيعية واعتباره سيداً من جهة كونه صاحب سيادة بشرية.

---

[1] فضل الله محمد إسماعيل، **فلسفة القوة**، (ط 1؛ الإسكندرية: مكتبة بستان المعرفة، 2002)، ص36.

* **السيادة:** هو مصطلح يتم التعبير من خلاله عن قوة الدولة، بوصفها المسؤولة عن سن القوانين وتنفيذها، وهي الطريق الشرعي للعلاقة بين الدولة والحاجات الأساسية للأفراد، وكذلك فرض سيطرة الدولة سياسيا واقتصاديا على المجتمع، بمعنى أن الدولة تمارس استقلالها الكامل، وترفض أن تعلوا عليها أية سلطة، وهي التي تعطي للدولة الأهلية الكاملة. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، مرجع سابق، ص236.

كما يرى "بودان" انه لا سبيل لإنقاذ فرنسا، إلا بالملكية وجعل السيادة حجر الزاوية وكيان الدولة، وعالج كل شئ في الدولة استنادا إلى السيادة، فالأسرة ترتبط بسيادة الأب والدولة لا تقدر لها سيادة إلا بنظام ملكي مطلق، والدولة حكومة شرعية تنطوي على عدد كبير من الأسر، والحكومة الشرعية والسيادة، غير أن السيادة هي القلب النابض للدولة.

من خلال هذا يتضح أن "بودان" ينادي بالنظام الملكي المطلق، لأنه يرى فيه السبيل الوحيد لظهور مجتمع خالي من الاضطرابات وبالتالي تحقيق السيادة.

قلنا فيما سبق أن "بودان" هو صاحب نظرية السيادة المطلقة في نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث في أوربا، إضافة إلى هذا فهو يدعوا أيضا إلى دولة قومية، ويتضح ذلك من خلال دفاعه عن الحكم الملكي المطلق منه بصورة خاصة، وتبرير ذلك في نظره هو تركيز السيادة في شخص الملك، لأن ذلك يقضي على المصالح الطبقية وتضاربها، كما يساعد على استقرار النظام السياسي في الدولة الواسعة، فهو ينشد دولة قومية بلا عدوان وملكية بلا تحكم، متسامحا دينيا ومتمسكا أخلاقيا، فلقد اخرج نسقا فلسفيا قائما على المعرفة العلمية خلص السلطة السياسية من اللاهوت[1]. ففي هذا ضمان لتحقيق الأمن والسلام بعيدا عن الاضطرابات والخلافات، وبالرغم من نضرة "بودان" في وضع السلطة وتركيزها في شخص الملك، إلا انه يرى انه من الممكن لهذا الحكم الملكي أن يتقبل بجانبه هيئات ومؤسسات تلعب دور الوسيط بين الدولة والشعب، مثل مجلس الطبقات ومجلس الشيوخ وغيره، في حين أن سلطة اتخاذ القرار تبقى حكرا على صاحب السيادة وحده.

فلقد كان لفكرة "بودان" عن السيادة الأثر البالغ على نظرية القانون الطبيعي ومفكري القرن السابع عشر(17م)، بل أكثر من ذلك فقد أثرت على مفكري القرن الثامن(18م) عشر

[1] فضل الله محمد إسماعيل و سعيد محمد عثمان، **نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي**، مرجع سابق، ص53.

وحتى القرن العشرين(20م)، حيث قامت الدول القومية ولم تستطع تلك الحروب أن تقضي على سيادة هذه الدول القومية.

بعد حديثنا عن نظرية السيادة التي جاء بها "بودان"، يجدر بنا الحديث كذلك عن "الديمقراطية" التي تعتبر هي الأخرى من أهم نتائج حركة الإصلاح الديني، الذي كان بترا للتراث الكنسي الذي كان من صياغة الباباوات، حيث عمد الإصلاحيين على القضاء على تلك الرؤى الكنسية القديمة، حيث أسهمت حركة الإصلاح الديني على المستوى التاريخي، في إضعاف القوتين الحاكمتين للمجتمع، الدين والدولة اللتين كانتا تتحركان إحداهما بموازاة الأخرى، وتؤديان على نحو ما النظام القائم، وهذا التغيير كان منعطفا حاسما على المستوى السياسي.

وعندما اتجهت البروتستانتية إلى الإشارة للحكام الزمنيين ودعمهم، ومحاولة جعل وظيفة البابا مجرد وظيفة تهتم فقط بشؤون الدين، بدأت محاولات فصل الدين عن السياسة، وتعد هذه الخطوة الأولى للتوجه نحو الديمقراطية، فعلى الرغم من أن نظام الحكم في انجلترا كان ملكيا مطلقا، « إلا أن نظام الإقطاع اجبر الملك على الاجتماع بأمراء الإقطاع في المناسبات الهامة لطلب المشورة والنصيحة، بل والمشاركة في نفقات الحرب وغيرها، وهكذا استقر نظام جديد يدعى إليه الإشراف والأساقفة ثم ازدادت سلطات المجلس فانتقلت من المشورة إلى التشريع إلى الإشراف على القضاء إلى أن أصبحت له السلطة العليا في المحاكم، حتى سمي بالمجلس الأعظم، وأصبح يعقد سنويا واتسع نطاقه إلى درجة انه أصبح لا يجوز لأي ملك أن يلغي قانون صدر عن هذا المجلس»[1].

فمن هنا بدأت معالم النظام الإقطاعي تتبدد، بعد تلك الصراعات التي دارت بين الأشراف والملك والتي كان الغرض الأساسي منها هو القضاء على ذالك النظام وما خلفه

[1] نقلا عن إمام عبد الفتاح إمام، **الطاغية**، مرجع سابق، ص ص(213،214).

من استبداد، محاولين بذلك ترسيخ نظام جديد وهو ما يتجلى في الديمقراطية، فقد كانت في زمن الإصلاح الديني ذات مضمون ديني، بحيث كان جل تركيزها على الله والحاكم الذي تم تعيينه من قبله، غير انه بحلول القرن السابع عشر(17م) – وما رافقه من تطور فكري وظهور الجدليات حول موضوع طاعة الحاكم – تجدد ذلك الصراع الذي أثاره الحكم المطلق في أوربا و الذي أدى إلى ظهور اتجاهين متعارضين، اتجاه يؤيد السلطة المطلقة، وأخر معارض ينادي للثورة على الطغاة والمستبدين.

فقد كانت إذن؛ من أهم النتائج المترتبة عن الحركة الإصلاحية هو فصل كل ما هوديني عن ما هو دنيوي، لكي يبقى الدين غذاء الروح، حيث أن الإنسان إذا كان مقتنعاً بدينه فإنه لن يرتكب المعاصي والمنكرات وأي شئ مخالف لتعاليم الدين، أما الدين المتصل بالحكم فهو دين يركز على السياسة والسيطرة مما قد يفقده قدسيته ويجعل هدفه الأساسي هو احتكار السلطة.

ولا يفوتنا في معرض حديثنا هذا الكلام عن أهم سمة من سمات العصر الحديث آلا وهي المساواة، حيث كان لهذه الأخيرة الأثر البالغ في كسر تلك الهيمنة التي كانت تفرضها جماعة على أخرى، فقبل ظهور الإصلاح كانت هناك للمساواة في الحقوق وفي السلطة بل في كل مجالات الحياة، والتي تجلت أكثر وأكثر في عصر النهضة وحتى الإصلاح، فقد كانت تمارس في أوربا نظرة تمييز حادة سواء بين الطوائف المسيحية أو بين الديانات وبلدان ما وراء البحار، حيث طرح مبدأ المساواة في المادة الأولى للثورة الفرنسية، « يولد الناس ويبقون أحرارا ومتساوين في الحقوق »[1]، إذ ليست هذه الحقوق طبيعية ولا يمكن التنازل عنها فحسب، بل هي مقدسة ولا يمكن التعرض لأي إنسان بسبب أرائه حتى الدينية منها.

[1] نقلا عن جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار**، مرجع سابق، ص611.

تعد المساواة هي أهم ركيزة لقيام مجتمع خالي من التناقضات والاضطرابات، حيث يقول "جون لوك" John Loke (1632-1704م)*: « ليس من حق أي شخص بأي حال من الأحوال، أن يحقد على شخص أخر في شأن المتعة الدينية لا لسبب إلا لأنه ينتمي إلى كنيسة أخرى أو يؤمن بدين أخر، فكل الحقوق والامتيازات التي تخص هذا الشخص من حيث هو مواطن من اللازم أن تكون محفوظة له دون أن تنتهك، ذلك أن هذه الحقوق والامتيازات لا علاقة لها بالدين، ومن ثمة يجب ألا يلحق هذا الشخص أي عنف أو ضرر سواء كان مسيحيا أو وثنيا»[1].

من خلال هذا نلاحظ أن العقل الأوربي بدأ يخرج من ظلمات العصر الوسيط، وذلك التعصب الذي تسبب في خسائر فادحة في تاريخ الغرب المسيحي، وأصبح المجتمع المسيحي يعيش في كنف التسامح بين مختلف الطوائف، وتم الفصل نهائيا بين كل ما هو ديني على ما هو سياسي، حيث انه ما إن حل القرن الثامن عشر (18م) حتى صار الغرب زاخرا بالكتابات التي تدافع عن الرأي الداعي إلى التسامح، إزاء الاختلافات الدينية، وإلى الفصل بين الكنيسة والدولة، وأصبح الفرد يقرر بنفسه أمور إيمانه الديني.

* **جون لوك:** فيلسوف انجليزي، ولد في "رينغتون" سنة 1632م، ينحدر من أسرة طهرانية من الطبقة الوسطى، التحق بجامعة أكسفورد سنة 1652م، حيث درس الآداب والفلسفة ثم الطب ، اشتغل عدة وظائف، ومن أعماله نذكر: "محاولة في الفهم البشري"، في "الحكم وحول الحكم المدني"، "رسائل حول التسامح" وغيرها. لمزيد من الإثراء الرجاء العودة إلى: جورج طربيشي، **معجم الفلاسفة**، مرجع سابق، ص(598،599).

[1] جون لوك، **رسالة في التسامح**، مصدر سابق، ص 32 .

المبحث الثالث: نقد وتقييم.

صحيح أن الحركة الإصلاحية كان لها الأثر البالغ في توجيه الفكر الغربي خاصة والفكر العالمي بصفة عامة، إلا أن هذا لا ينفي وجود العديد من النقاط التي تعاب على هذه الحركة، وقبل الخوض في نقد وتقييم النتائج التي أسفرت عن هذه الأخيرة، لا بد وأن نتتبع النقد من بديات الدراسة، أي من الممهدات الأولى لحركة الإصلاح الديني، ومن أهمها نتائج عصر النهضة وما تمخض عنها خاصة في مجال نقد الدين، فقد حملت في طياتها نقدا للدين وثورة على كل ما هو ديني، إلا انه بالرغم من الجانب السلبي لهذا النقد، فقد حمل الكثير من التطورات الايجابية، من خلال التخلص من تلك الأوامر والأسرار التي كانت تمارس سابق، حيث بدأت الدراسات الدينية تتجه نحو العقلانية، وما تبعه من تخليص للدين المسيحي من أعباء اللاهوت المدرسي، كما أصبح المؤمن يمارس إيمانه بشكل أفضل وأكثر أريحية.

كما أن الانتقال من عصر النهضة إلى العصر الحديث، لم يكن طريقا متصلا معبدا، بل كانت تعترضه فوهات براكين عميقة من الانتقادات التي انصبت على كل الموروث خاصة الديني منه، نقدا ادخل أوربا مرحلة جديدة بكل المعاني، ورغم ما يحمله هذا الجديد من ايجابيات لا تنكر، لكن استحضار المرحلة السابقة – النهضة – بمخاضها وما تولد عنه، يجعلنا نؤيد القول بان العالم الحديث نشأ في حالة من التشويش النفسي، بسبب التغييرات السريعة التي تريد أن تستبق الزمن، مما جعل الكثير منها يفتقد إلى نظام المنهج و تتخبط تخبطا عشوائيا دون تحديد الهدف المرجو.

والآن نتطرق إلى أفكار كل من "كالفن" و"لوثر"، فبالرغم من أنها مناهضة للكنيسة الكاثوليكية وممارساتها، إلا أننا نجدها في أكثر من معرض لا تزال متأثرة بعقلية القرون الوسطى، من خلال تمجيدهم لسلطان الملك، كما أن أفكار لوثر وقفت عاجزة أمام الحياة

الاجتماعية، ولم تغير من تلك الأوضاع السائدة، ولم تنضج ثمارها إلى بعد تلك الثورات التي جاءت فيما بعد.

وما يؤاخذ على هذه الحركة أيضا، هو تسببها في إحداث تلك الاضطرابات التي عانت منها أوربا لسنوات، وما رافقها من تعصب وتزمت بين الفرق الدينية، فكانت هذه الحركة هي السبب في كسر الوحدة المسيحية وإحداث تلك الانشقاقات بين الديانة الواحدة، لكنها وبالرغم من كل هذا قد وطدت هذه الحركة بذور القومية وروح التسامح بين مختلف الطوائف المسيحية.

كما أن هذه الحركة أعلنت مبدأ الحرية الفردية والقانون الطبيعي، هذا الأخيرة الذي يكشف في سياقه عن اعوجاج في بنائه النظري وتفكك في قواعده وخلل في تصوره لطبيعة الحياة الاجتماعية، إذ انه ينطوي بحق على قصور يؤدي إلى الاستبداد، فالحقوق إن ترك بيانها وفقا لرغبة الفرد وأهوائه فإن ذلك يؤدي إلى الفوضى، وإن وُكل إلى الدولة بيان هذه الحقوق، كانت النتيجة المنطقية هي الاستبداد، كما أن الحقوق لا تظهر إلا في إطار الجماعة ومعطيات تطورها ومفردات حياتها، ومن ثمة يصبح التحدث عن حقوق تسبق وجود الجماعة، هو تحدث عن شئ لا وجود له.

رأينا سابقا بأن المساواة هي أهم النتائج التي كللت بها الحركة الإصلاحية، إلا انه يبدو أن الحديث عن تلك المساواة هو ضرب من ضروب الخيال، ذلك لأنه لا يمكن أن يتجسد على أرض الواقع، لوجود فوارق بين الأفراد، خصوصا أن طبيعة الحكم تفرض وجود تلك الفوارق، ونجد هذا في التصور الإسلامي ذاته، والذي يؤكد على أن ميزان التكريم يعتمد على الارتباط العقائدي للإنسان، حيث أن منزلة التكريم تحددها تقوى الإنسان وقبوله هداية الرسل، ومنهج الوحي، لقوله تعالى﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم• ثم رددناه أسفل

السافلين إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات﴾[1]، وقوله عز وجل أيضا ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾[2]، من هنا نتساءل كيف يمكن الحديث عن مساواة في ظل حكومات لا تولي أية أهمية للأحكام الدينية؟

ولعل أهم الانتقادات التي يتوجب علينا أن نوجهها لهذه الحركة هي كالأتي:

- تجسيدها لمبدأ العلمانية، فدعوتها للعلمانية هي دعوة للانحلال الخلقي والاجتماعي.

- إرساءها لمبدأ الملكية المطلقة، صحيح أن أوربا تخلصت من قيود الكنيسة والباباوات، إلا أنها وقعت أسيرة الحكم المطلق وما يحمله من تسلط واستبداد، وأدرك الناس من خلالها بطلان النظريات والأفكار التي كانت تُمليها الكنيسة.

[1] التين/الآية 4-6.

[2] الحجرات/الآية 13.

الـــخـــاتمـــة

من خلال التعرض لحركة الإصلاح الديني، عبر مراحلها التاريخية مرورا بأهم واخطر تحولاتها، بحيث أن تجليات هذه الحركة تجسدت أكثر في عملية النقد الذي سلط على مصادر المسيحية المقدسة، إلى جانب تصادمها مع نتائج عصر النهضة خاصة النزعة الإنسانية، فإنه مبدئيا نقول انه من الصعب حصر النتائج بالدقة التي يتطلبها البحث العلمي رغم الاجتهاد في استقراء هذه الحركة، والتوقف بالدراسة والتحليل عند أهم منعرجاتها التاريخية والفكرية، واهم أعلامها من مفكرين وفلاسفة ورجال الدين.

لكن على الرغم من صعوبة الحصر كما سبق الذكر، يمكن التأكيد على بعض النتائج أهمها:

- أن معظم قادة الحركة الإصلاحية الدينية، هم من الذين درسوا واطلعوا وانظموا إلى الحركة الإنسانية، وتشاطروا مع قادة الحركة الإنسانية نظرتهم إلى الإنسان و وجوب تغيير الصورة السلبية التي طبعتها الكنيسة الكاثوليكية عنه.
- دعوة حركة الإصلاح الديني، إلى العودة بالمسيحية إلى مرحلتها الأولى، والبحث عن ترجمة الإنجيل بعيدا عن ترجمة الكنيسة، من خلال الرجوع إلى النسخ اليونانية وترجمتها، والتخلص من سيطرة الكنيسة واحتكارها للترجمة والتفسير.
- نلاحظ أن النجاحات التي حققتها الحركة الإصلاحية في أوربا، كانت نتيجة لتحالف مع قوى داخلية لها أهميتها في تغيير وقلب الموازين.
- نلاحظ كذلك انه مع النهضة والإصلاح الديني، عرفت الدراسات الدينية انتعاشا، وتطورا، واستقلال تدريجي، من خلال دراسة مختلف الأديان ومقارنتها، الأمر الذي بدأ يكشف عن حقائق جديدة وهامة عن المسيحية وغيرها من الأديان.
- التخلص من سيطرة العصور الوسطى وفتح أفاق العلوم.
- كما أفضت حركة الإصلاح الديني إلى تأصيل مبدأ الحرية في الفكر الغربي، ونشر قيم التسامح بين مختلف الأديان.

- أدت هذه الحركة كذلك إلى ظهور مفكرين، قاموا بالتأسيس للمفهوم الجديد للدولة الحديثة، مثل "بودان" وغيره.
- كما قدمت الحركة الإصلاحية في الأمد البعيد، نماذج من الفكر أكثر فعالية وتجاوبا مع روح العصر، ومع متطلبات الإنسان المسيحي وانشغالاته اليومية بعيدا عن الطرح المدرسي الصارم، حيث استفادت هذه الحركة من تجربة الماضي لتعزز إيمانها ودورها في النهوض من أعباء الدين المسيحي.

أخيرا تكلل نضال حركة الإصلاح الديني، بجانب تقدم حركة الفكر والسياسة عموما إلى فصل الدين عن ميدان الدولة والسياسة، بالضد من رغبة رجال الكنيسة وحليفه الإقطاع، اللذان خسرا معركة التاريخ جراء صيرورته، فقد تم إزاحة طبقة ولى عهدها لتحل الطبقة البرجوازية محلها، فكانت هي الطبقة الجديدة البازغة حديثا والتي سيكون لها شأن كبير في مسار التاريخ والتحولات الاجتماعية الكبرى، وأيضا السياسية والاقتصادية، ومن الآثار التي خلفتها، الثورة الصناعية.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1- القران الكريم.

2- جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنة، تقديم ومراجعة: مراد وهبة، ط1؛ الإسكندرية: المجلس الأعلى للثقافة، 1997.

3- فولتير، **رسالة في التسامح**، تر: هنريت عبودي، ط1؛ سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، 2009.

4- ميكافيلي، **الأمير**، تر: أكرم مؤم ، د ط؛ القاهرة: مكتبة ابن سينا، 2004.

5- ـــــــــ، **مطارحات ميكافيلي**، تر: خيري حماد، ط2؛ بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1979.

ثانيا: المراجع:

6- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، د ط؛ الإسكندرية: دار الوفا للطباعة والنشر،2001.

7- أحمد شلبي، **مقارنة الأديان 2 المسيحية**، ط10؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998.

8- أشرف صالح محمد سيد، **تاريخ وحضارة أوربا في العصور الوسطى**، ط1؛ لبنان: شركة الكتاب العربي الالكتروني، 2008.

9- أكرم عبد علي، **تاريخ أوربا الحديث**، ط1؛ عمان: دار الفكر، 2010.

10- إمام عبد الفتاح إمام، **الطاغية**، د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1994.

11– برتراند راسل، **حكمة الغرب**، تر :فؤاد زكريا، د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1979، ج1.

12– ـــــــــــ، **حكمة الغرب**، تر: فؤاد زكريا، د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1983، ج2.

13– بيتر كونزمان وآخرون، **أطلس الفلسفة**، تر: جورج كتوره، ط2؛ لبنان: المكتبة الشرقية، 2007.

14– جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط**، تر: ناجي الدراوشة، ط1؛ دمشق: دار التكوين، 2010، ج1.

15– ـــــــــــ، **تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار**، تر: ناجي الدراوشة، ط1؛ دمشق: دار التكوين، 2010، ج2.

16– جفري براون، **تاريخ أوربا الحديث**، تر: علي المزروقي، ط1؛ لبنان: دار الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

17– جون أهنبرغ، **المجتمع المدني**، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم، ط1؛ بيروت: المنضمة العربية للترجمة والنشر، 2008.

18– جونز و بورجوان، **تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية**، تر: علي زيغود و علي مقلد، د ط؛ بيروت: مؤسسة عز الدين للنشر والتوزيع، 1993.

19– زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، د ط ؛القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936.

20– صالح أحمد هريدي، **تاريخ أوربا الحديث**، د ط؛ الإسكندرية: دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، 2008.

21– سكوت إتش هندريكس، **مارتن لوثر**، تر: كوثر محمود محمد، ط1؛ مصر: الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2014.

22– ضمد كاظم وسمي، **النهضة الأدبية وقضية الحرية**، د ط؛ بيروت: صدر عن منتديات ليل الغربة، 2010.

23– عبد الرحمان بدوي، **فلسفة العصور الوسطى**، ط3؛ بيروت: دار القلم، 1979.

24_ عبد العزيز نوار و محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، د ط؛ مدينة نصرا: دار الفكر العربي، 1999.

25– كرين برينتون، **تشكيل العقل الحديث**، تر: شوقي جلال، د ط؛ الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1984.

26– فضل الله محمد إسماعيل و سعيد محمد عثمان، **نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي**، د ط؛ الإسكندرية: مكتبة بستان المعرفة، 2006.

27– كوينتن سكندر، **أسس الفكر السياسي الحديث(عصر الإصلاح الديني)**، تر: حيدر حاج إسماعيل، ط1؛ بيروت: المنضمة العربية للترجمة، 2012، ج2.

28– لويس غردي و جورج قنواتي، **فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام**، تر: صبحي صالح، ط1؛ بيروت: دار القلم، 1979.

29– محمد كامل ظاهر، **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، ط1؛ بيروت: دار البيروني، 1994.

30– محمد علي مصطفى و خير الدين محمد عبدي، **تاريخ الفلسفة**، ط1؛ مصر: المطبعة الرحمانية، 1993.

31– محمد نصر مهنا، **في تاريخ الأفكار السياسية والتنظير للسلطة**، د ط؛ الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999.

32– مولود زايد، **علم الاجتماع السياسي**، ط1؛ ليبيا: منشورات السابع من ابريل، 2007.

33– نعيم فرح، **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، ط2؛ دمشق: الجمعية التعاونية للطباعة، 2000.

34– هربرت فيشر، **أصول التاريخ الأوربي الحديث**، تر: زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: أحمد عزت عبد الكريم، ط3؛ القاهرة: دار المعارف، 2001.

35– يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط**، ط3؛ مصر: دار المعارف، دس ن.

ثالثا: المعاجم والموسوعات:

1– إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، د ؛ القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1983.

2– اندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، تر: خليل احمد خليل، ط2؛ بيروت: دار الكتاب اليوناني، 2001، ج3.

3– إسماعيل عبد الفتاح الكافي، **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، د ط؛ د م ن: جميع حقوق النشر والتوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية، 2005.

4– عبد الرحمان بدوي، **موسوعة الفلسفة**، ط1؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ج1.

5– جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، د ط؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982،ج2.

6– جورج طربيش ، **معجم الفلاسفة**، ط3؛ بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2006.

7– محمد جواد مغنية، **مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات**، د ط؛ بيروت: دار ومكتبة الهلال، د س ن.

رابعا: المجلات والدوريات:

1– يونس عباس نعيمة، **مركز الإصلاح الديني في فرنسا**: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، المجلد4، العدد1.

ملخص:

هذا العمل يسلط الضوء على أهم الحركات التي أحدثت نقلة في الفكر الأوربي إن لم نقل الفكر العالمي، آلا وهي حركة الإصلاح الديني، التي خلفت العديد من التغييرات والتطورات، في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية، ومن خلال هذا العمل نحاول إظهار أثرها خاصة على الجانب السياسي للفكر الأوربي المعاصر والحديث، وذلك من خلال العودة إلى منطلقاتها الأولى، وكذا العوامل المساهمة في بلورة هذه الحركة خاصة الدينية –حيث شهدت الكنيسة تدهورا وفسادا في كيانها- .

بالإضافة إلى هذا سلطنا الضوء على أهم الأشكال التي اتخذتها هذه الحركة، من خلال كل من جون كالفن ومارتن لوثر، وصولا إلى انجلترا مع هنري الثامن.

كما تطرقنا في عملنا هذا إلى النتائج المنبثقة عن الإصلاح الديني، خاصة على الصعيدي الديني والسياسي.

Résumé

Ce travail met en valeur les plus important mouvements qui ont fait une transition dans l'idiologie européenne et mondiale, ce dernier est le mouvement de la reforme religieuse qui a crié plusieurs développements et changements dans tout les domaines sociaux-économique et politique, à traves ce travail on a essayé de montrer ses effets sur l'idiologie européenne contemporaine.

En revenant sur le commencement on s'est penché sur les conditions qui ont fondées ce mouvement et surtout la religion (car l'église a connu une chute des valeurs et une corruption dans son système).

Par la suite, on a vu les différentes formes du mouvement à travers Jean kelvin et Martin Luther et en Angleterre avec Henry six.

En dernier on a étudié l'impacte de la réforme religieuse sur touts les domaines et en particulier la religion et la politique.